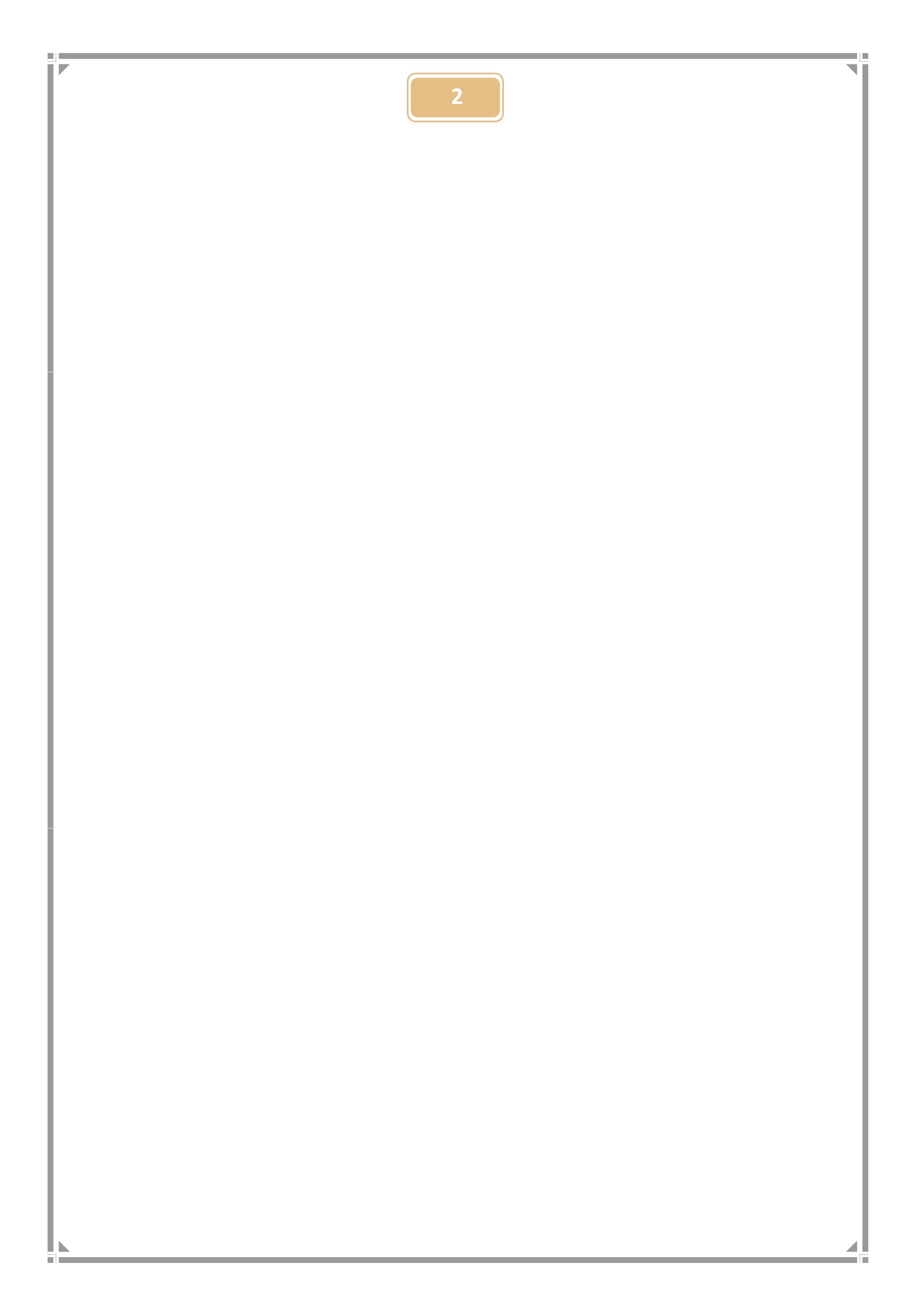

شَرْحُ
الضياء اللامع
تأليف
خالد بن محمد بن أحمد العمودي

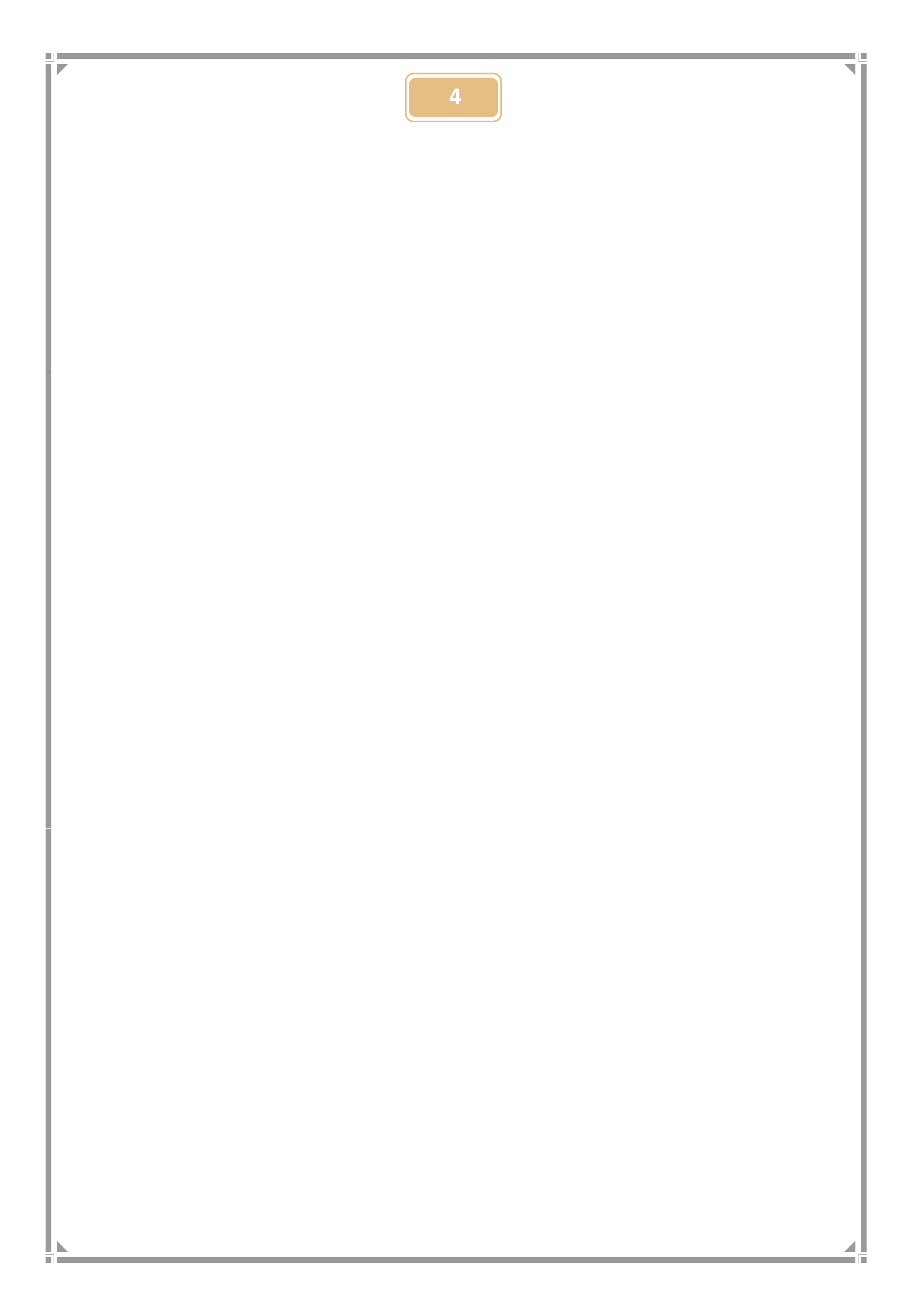


شَرْحُ

الضياءِ اللامِعِ

تأليف

خالد بن محمد بن أحمد العمودي



مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ الخالقُ البارئُ المصّورُ الوهابُ الفتاحُ. المتفضلُ علينا بالنّعَمِ الظاهرةِ والباطنةِ. وصلاتُهُ وسلامُهُ على رسولِهِ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ. وعلى آلِهِ وصحبِهِ أهلِ المعرفةِ الخاصّةِ والمحبةِ الخالصةِ.

وبعدُ فهذا شرحٌ مختصرٌ على نظمِ المولدِ المباركِ المسمّى

"الضّياءَ اللّامعَ بذكرِ مولدِ الحبيبِ الشافعِ ﷺ"

لِشيخي العلّامةِ المربي المسنِدِ العارفِ باللهِ الحبيبُ عمرُ بنُ محمد بنُ سالمِ بنُ حفيظٍ ابنُ الشّيخِ ابي بكرٍ بنُ سالمِ رضي الله عنه.

وقد جمعَ هذا النظمُ المباركُ قصّةَ المولدِ الشريفِ وسيرةِ وشمائلِ المصطفى ﷺ إشارةً واقتباسًا مِن النُّصوصِ الشرعيّةِ

قال رضي الله عنه في خاتمتهِ :

ولقـد أشـرتُ لنعـتِ مَـن أوصـافُهُ　　　تحُيـي القلــوبَ تُهيّجُ الأشجـانا

فكانَ لا بدَّ مِن شرحٍ يُوضّحُ معانيهِ ويبيّنُ إشاراتِهِ ومبانيهِ. فكتبتُ ما يسّرهُ اللهُ لي مِن شرحٍ يسيرٍ وإن كانَ دونَ بالمطلوبِ لأنَّني لستُ مِن أهلِ هذا الشّأنِ. لكنّي أرجوا بهِ نظرَ شيخي الناظمِ ﵁ ورضا الحبيبِ الأعظمِ ﷺ وربهِ الأكرمِ عزَّ وجلَّ وقد بدأتُهُ مِن قولِهِ :

الْحَمــدُ لِلّــهِ الَّــذِي هَــدَانَا بِعَبْـدِهِ الْمُخْـتَارِ مَــنْ دَعَـانَا

وختمتُهُ بقولِهِ :

أَكْـرِمْ بِــهِ وَبِصَــحْبِهِ وَبِتَـابِعٍ يَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِهِـم إِحْسَـــانَا

آمِيـــــــــنَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْــــدُ لِلّـــهِ الَّـــذِي هَــدَانَا بِعَبْــدِهِ الْمُخْتَـــارِ مَـــنْ دَعَـــانَا

إِلَـــــيْهِ بِالإِذْنِ وَقَـــــدْ نَادَانَا لَبَّيْــكَ[1] يَا مَـــنْ دَلَّـــنَا وَهَـــدَانَا

(الحمـدُ للهِ) مسـتحقُّ الحمـدِ ثنـاءً باللّسـانِ واعتقـاداً ومحبّـةً بالجَنـانِ وعمـلاً بالأَركانِ. فلهُ الحمدُ شكراً ولهُ المنُّ فضلاً. فهوَ سبحانهُ بعدَ أَنْ أنعمَ علينا بنعمةِ الإيجادِ أكرمَنا بأعظمِ نعمةٍ وأفضلِ منّةٍ بأَنْ **(هدانا)** إليهِ ودلَّنا عليهِ **(بعبدِهِ المختارِ)** المصطفَى المنتقَى مِن صفوةِ خلقِهِ. فهوَ ﷺ مِن أشرفِهِمْ نَسباً وأرفِعِهِمْ قدْراً وأجملِهِمْ خَلْقا وأحسنِهِمْ خُلُقاً. **(مَنْ دعانا إليهِ بالإِذنِ)** الّذي دعانا إلى اللهِ بإذنِهِ لهُ بالدّعوةِ إليهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾. فهوَ الدّاعي إلى اللّـهِ المأذونُ لهُ بدعوةِ النّاسِ كافّةً إلى قيامِ الساعةِ ودعاةُ الحقِّ مِن أمتهِ إنّما هم نوّابٌ عنهُ وهو الداعي الأصل. لذلكَ وجّهَ شيخي النّاظمُ رضي الله عنه الخطابَ إلى الحبيبِ ﷺ فقالَ: **(لبّيكَ يا منْ**

---

(١) لبيك : مصدر سماعي منصوب بفعل محذوف تقديره نلبي. وهو مضاف والكاف مضاف إليه. والمعنى نجيبك إجابة بعد إجابة. وذلك أبلغ في إجابة الداعي

دلّنا وهدانا) أيْ نجيبُكَ إجابةً بعدَ إجابةٍ يا مَن دلّنا على اللهِ. وساقنَا إلى الطريقِ المُوصلةِ إليهِ بلطفٍ ورحمةٍ كالحادي الّذي يحدو للإبلِ ويسوقُها فتطربُ وتسرعُ في السيرِ إلى مقصدِها.

لطيفةٌ : التفتَ ﵁ مِن صيغةِ الماضي إلى صيغةِ الخطابِ بقولِهِ "لبّيكَ" لينبِّهَنا على أمورٍ منها:

- ❖ الأَوّلُ : أنّهُ ﷺ الداعي إلى اللهِ الواجبةُ علينا إجابتُهُ.
- ❖ الثّاني : إظهارُ التعظيمِ والإجلالِ للحبيبِ ﷺ.
- ❖ الثّالثُ : لأَنّهُ ﷺ حيٌّ في قبرِهِ يسمعُ خطابَ مَن خاطبَهُ. لذلك أوجبَ ﷺ علينا أنْ نقولَ في تشهّدِ الصّلاةِ: السّلامُ عليكَ أيّها النّبيّ بكافِ الخطابِ كيْ نعلمَ أنّهُ ﷺ حيٌّ في قبرِهِ يسمعُنَا وإنْ بعدتْ المسافة.

وقدْ كانَ الإمامُ نورُ الدينِ عَليُّ بنُ محمّدٍ بنُ علوِيّ بنُ عُبيدِ اللهِ بنُ أحمدَ بنُ عيسى ﵃ إذا قالَ في الصّلاةِ أوْ غيرِها السّلامُ عليكَ أيّها النّبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ يكرّرُها حتّى يسمعَ النّبيَّ ﷺ يقولُ : وعليكَ السَّلامُ يا شيخُ[1]. وهو المشارُ إليهِ في قولِ الإمامِ الحدّادِ ﵁ في العينيّةِ :

---

(١) شرح العينية للإمام أحمد بن زين ﵁ نقلا عن كتب بعض المؤرخين.

رَدَّ الرَّسُولُ عَلَيْهِ مِثْلَ سَلَامِهِ   يَـا شَـيْخُ فَاعْجَـبْ لِلْفَخَـارِ

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ بَارِئُـكَ الَّـذِي   بِـكَ يَا مُشَـفَّعُ خَصَّـنَا وَحَبَـانَا

(صلَّى عليكَ اللهُ) خبَرٌ بِمَعْنَى الدعاءُ – أَيْ نَطْلُبُ مِنَ اللهِ أنْ يُصَلِّيَ عليكَ الصلاةَ التي تستحقُّها. وقد علَّمنا ﷺ صِيَغَ الصلاةِ عليهِ التّي أَمَرَنا اللهُ بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ فأَمَرَنا أنْ نَطْلُبَ مِنَ اللهِ أنْ يُصَلِّيَ عليه لِعَجْزِنا عَنِ الإتْيانِ بالصّلاة التي يَسْتَحِقُّها ولِنَعْلَمَ قَدْرَ منزلتِهِ ﷺ عندَ ربِّه. **(بارئُك)** خَالِقُك **(الذي بكَ يامشفعُ خصّنا وحبانا)** الذي خَصَّنا بكَ ومنحَنا إيَّاكَ دُوْنَ غيرِنا مِنَ الأُمَمِ. فخَصَّنا معشرَ أهلِ البيتِ على وَجْهِ الخصوصِ ثُم العربَ ثم سائرَ المسلمينَ. قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ .قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾.

قال الإمام البوصيريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

لَمَّـا دَعـا اللهُ داعِيْنَـا لطاعتِـهِ   بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أكْرَمَ الأُمَـمِ

مَعَ آلِكَ الْأَطْهَارِ مَعْدِنِ سِرِّكَ الْـ   أَسْمَـى فَهُـمْ سُفُنُ النَّجَـاةِ حِمَـانَا

(معَ آلكَ الأطهارِ) أي صلّى عليك اللهُ صلاةً مقرونةً بها الصلاةُ على آلك، كما عَلَّمتنَا ذلك في الصلاةِ الإبراهيميةِ. **(الأطهارِ)** جَمْعُ طاهِرٍ – أيْ النَّقِيُّ مِن الأَدْرَانِ والعُيُوْبِ والنَّجَاسَةِ، شريفٌ طاهرُ الباطنِ والظاهرِ. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قال: جاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى فاطمةَ ومعهُ حَسنٌ وحُسينٌ وعليٌّ حتى دَخَلَ فأَدْنَى عَلِيًّا وفاطمةَ. فأَجْلَسَهُمَا بين يديه و أجْلَسَ حَسَنًا وحُسَيْنًا على فَخِذَيْهِ ثم لَفَّ عليهم ثَوْبَهُ وأنا مُسْتَدْبِرُهُمْ، ثمّ تَلَا هذهِ الآيةَ :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١]

(مَعْدِنِ سرِّكَ الأسمى) هُمْ أصْلُ نَسَبِكَ العَالِي وأَوْعِيَةُ سِرِّ نُبُوَّتِكَ وَنُوْرِهَا الْمُتَعَالِي **(فهم سفنُ النجاةِ حِمانا)** أي فهُم سُفُنُ النجاةِ التي يَنْجُوْ بها من الغَرَقِ في بحرِ الضّلالِ والكُفْرِ كُلُّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وعَرَفَ حقَّهم وأحْسَنَ إلى مُحْسِنِهِمْ وتَجاوَزَ عنْ مُسِيْئِهِمْ وسارَ على طريقَتِهِم كما نَجَا مِن الطُّوْفانِ كلُّ من رَكِبَ في سفينةِ نُوْحٍ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام. روى الحاكمُ في المستدركِ والطبراني عن جَمْعٍ من الصّحابةِ رضي الله عنهم أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : مَثَلُ أهلِ بيتي فيكم كسفينةِ نوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ومَنْ تَخَلَّفَ عنها هَلَكَ.

---

(١) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني والحاكم والبيهقي في سننه

وعـن أبي سـعيد الخـدري ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ : إني تارِكٌ فـيكم الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهما أكبرُ مِن الآخَرِ، كتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُوْدٌ من السماءِ إلى الأرضِ وعِتْرَتِي أهلُ بيتي وإنّهما لن يَفْتَرِقَا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض(١). وعن علي ﷺ قال: قال ﷺ : النُّجُوْمُ أمانٌ لأهلِ السماءِ فإذا ذَهَبَتِ النجومُ ذَهَبَ أهلُ السماءِ، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهْلِ الأرضِ فإذا ذهبَ أهلُ بيتي ذهبَ أهلُ الأرضِ(٢). وعن أبي سعيدٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ : والّذي نَفْسِي بيدِهِ لا يبغضُ أهلَ البيتِ أحدٌ إلا أَدْخَلَهُ اللهُ النارَ(٣).

❖ عَن سيّدِنَا عليّ ﷺ وكرّمَ وجهَهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ وسلم: أربعةٌ أنا لهم شفيعٌ يومَ القيامةِ؛ المُكْرِمُ لِذُرّيَتِي، والقاضي لهم حوائجَهم، والسّاعي لهم في أمورِهم عندَما اضّطروا إليهِ، والمُحبُّ لهم بقلبِهِ ولسانِهِ.

❖ وَعَن عائشةَ ﷺ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: ستّةٌ لَعَنْتُهُم وكلُّ نبيّ مُجابِ الدّعوةِ؛ الزّائدُ في كتابِ اللهِ، والمُكَذّبُ بِقدرِ اللهِ، والمُتسلّطُ بِالجبرُوتِ لِيُذِلَّ مَن أعزّ اللهُ ويُعِزَّ مَن أذلَّ اللهُ، والتّاركُ لسُنّتي، والمُستَحِلُّ مِن عِتْرَتِي ما حرّمَ اللهُ ، والمُستَحِلُّ لحرمةِ اللهِ(٤). اللّهمَّ ارزُقنَا محبَّتَهم وتوفَّنا على

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند والترمذي وفي صحيح مسلم وسنن الدارمي عن زيد بن أرقم ﷺ

(٢) رواه الإمام أحمد

(٣) رواه الحاكم وابن حبان وصححاه

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني

طريقتِهِم واحشُرنا في زُمرَتِهِم.

وقد قال الإمامُ الحدَّادُ رضي الله عنه في قصيدتِهِ العَيْنِيَّةِ بَعْدَ ذِكْرِهِ سلسلةَ النّسبِ الشّريفِ للأئمّةِ مِن أجدادهِ آلِ باعلويّ :

فَهُمُ الْكَثِيْرُ الطَّيِّبُ الْمَدْعُوْ لَهُمْ ... مِنْ جَدِّهِمْ حِيْنَ الزَّفَافِ أَلَّا تَعِيْ

بَيْتُ النُّبُوَّةِ وَ الْفُتُوَّةِ وَالْهُدَى ... وَالْعِلْمِ فِي الْمَاضِي وَفِي الْمُتَوَقِّعِ

بَيْتُ السِّيَادَةِ وَالَّسعَادَةِ وَالْعِبَا ... دَةِ وَالْخَيْرَاتِ كُلِّ أَجْمَعِ

قَوْمٌ يُغَاثُ بِهِمْ إِذَا حَلَّ الْبَلَا ... وَلَدَى الْمَسَاغِبِ كَالْغُيُوْثِ الْهُمَّعِ

قَوْمٌ إِذَا أَرْخَى الظَّلَامُ سُتُوْرَهُ ... لَمْ تُلْفِهِمْ رَهْنَ الْوِطَا وَالْمَضْجَعِ

بَلْ تُلْفِهِمْ عُمُدَ الْمَحَارِبِ قُوَّمَا ... لِلهِ أَكْرِمْ بِالسُّجُوْدِ الرُّكَّعِ

يَتْلُوْنَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَدَبُّراً ... فِيْهِ وَلا كالغافِلِ الْمُتَوَزِّعِ

ثَبَتُوْا على قَدَمِ الرَّسُوْلِ وصَحْبِهِ ... والتابِعِيْنَ لَهُمْ فَسَلْ وَتَتَبَّعِ

وَمَضَوْا على قَصْدِ السَّبِيْلِ إلى الْعُلَا ... قَدَماً عَلَى قَدَمٍ بِجَدٍّ أَوْزَعِ[٢]

رضي الله عنهم وقدّس اللهُ سرَّهم ونفعنا بهم.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني

(٢) بجد أوزعي : باجتهاد أولعوا به فصار عادتهم وديدنهم

وَعَلَى صَحَابَتِكَ الْكِرَامِ حُمَاةِ دِيْـ نِـكَ أَصْـبَحُوْا لِوَلَائِـهِ عُنْـوَانَا

(وعلى صحابتِك الكرامِ) وصلى اللهُ على صحابتِكَ الكِرَامِ الّذينَ ارْتَضاهُمْ لصُحْبَتِكَ وأثنى عليهم في القرآنِ الكريمِ واصْطفاهُمْ لصُحْبَتِكَ ولِحَمْلِ أَعْباءِ الشريعةِ. وبَعَثَك فيهم لِتَتْلُوَ عليهم آياتِهِ وتُزَكّيْهِمْ وتُعَلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ. فزكَّيتهمْ خيرَ تزكيةٍ وعلَّمتَهم أفْضَلَ تَعْلِيْمٍ وربَّيتَهم أَعْظَمَ تَرْبِيَةٍ. وعن عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [(١)] أنّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أصْحاباً فجَعَلَ لي منهم وُزَرَاءَ وأنْصاراً وأصْهاراً. فمَنْ سَبَّهُمْ فعليهِ لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعيْنَ لا يُقْبَلُ مِنهُ يومَ القيامةِ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ. فَسَابُّ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ملعونٌ بِنَصِّ الحديثِ الشريفِ. لأنَّ ذلك السَّابَّ الجاهلَ يُكَذِّبُ اللهَ تعالى الذي زَكّاهم وطَهَّرَهم ورَضِيَ عنهم كما جاءتْ الآياتُ الكريمةُ بذلك ومنها قولُهُ تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِين ..﴾ الآيةَ. وقولُهُ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ وقولُهُ تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا

(١) عويم بن ساعدة الأنصاري وهو أحد الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى. الحديث أخرجه الحاكم والطبراني في الأوسط.

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾.

(حماةُ دينِكَ أصْبحوا لولائهِ عُنوانا) فهم ﵃ حماةُ دينِكَ المدافعونَ عنهُ الساهرونَ على حفظهِ ورعايتهِ. وقد صارَ ولاؤُهم ونصْرُهم للدّينِ ظاهِرًا مَشهُوْرًا كعُنْوَانِ الكِتابِ في الشُّهْرَةِ، يَهَابُهُم العَدُوُّ مِن مَسِيْرَةِ شَهْرٍ، رجالٌ صَدَقُوْا ما عاهَدُوْا اللهَ عليه. ومِنْ أَرْوَعِ صُوَرِ التَّضْحِيَاتِ التي قدّموها ما رواهُ أنسُ بْنُ مالكٍ ﵁ أنّ عمَّهُ أنسَ بْنَ النضْرِ غَابَ عن بَدْرٍ فشقَّ عليهِ ذلك، وقال: لَئِنْ أراني اللهُ مَشْهَدًا معَ رسولِ اللهِ ﷺ فيما بَعْدُ ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ، فشَهِدَ يومَ أُحُدٍ فاستقبَلَهُ سعدُ بْنُ مُعاذٍ ﵁ فقال – أي أنسُ بنُ النضْرِ-: يا أبا عمْرو أينَ وَاهاً لريحِ الجنّةِ أَجِدُهَا دُوْنَ أُحُدٍ، فقاتَلَ حتى قُتِلَ فوُجِدَ في جَسَدِهِ بِضْعٌ وثمانونَ مِا بيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وطَعْنَةٍ برُمْحٍ ورَمْيَةٍ بسَهْمٍ. ونزلتْ هذهِ الآيةُ ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾. فكانوا يرَوْنَ أنها نَزَلَتْ فيهِ وفي أمثالهِ ﵃ .[1]

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد وابن سعد والنسائي

وقد شبَّهَهُم الإمامُ البوصيريّ رضي الله عنه وهُمْ فوقَ ظهورِ الخيلِ المُسرعةِ مُقتَحِمِيْنَ ساحاتِ القِتالِ بِبَحْرٍ تَتَلَاطَمُ أمْواجُهُ الهَائِجَةُ فقال:

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ[1]

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُوا بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

حتى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وَهْيَ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُوْلَةَ الرَّحِمِ

وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِصِدْقٍ مَا حَدَا ... حَادِي الْمَوَدَّةِ هَيَّجَ الْأَشْجَانَا[3]

(والتابعينَ لهمْ بصدقٍ) والتابعينَ للصحابةِ الْمُقْتَفِيْنَ آثارَهُمْ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ بصِدْقِ الْمُتابَعَةِ فِي الإيمانِ والتصديقِ والمحبَّةِ والوَلَاءِ والنُّصْرَةِ لِلّهِ ورسولِهِ وآلِ بيتِهِ وصَحابتِهِ والمؤمنينَ. **(ما حدا حادي المودّةِ هيّجَ الأشجانا)** صلى اللهُ عليك معَ آلِكَ وصَحْبِكَ والتابعينَ مدَّةَ حَدْوِ حادي القصائدِ والمدائحِ النبّويّةِ

---

(١) الخميس : الجيش. والسابحة : الخيل السريعة. ملتطم : يقاتل العدو بقوة.

(٢) يسطو : يبطش العدو. والمستأصل هنا السيف. والاصطلام الاستئصال.

(٣) الأشجانا : الألف للاطلاق لأجل القافية وسيأتي نظير ذلك فاعلمه فأنني لن أذكره.

وقد جاء ذلك في الشعر العربي الفصيح: قال الشاعر سعد المازني:

فيا لرزام رشحوا بي مقدما ... على الحرب خوّاضا إليها الكتائبا

قوله: حادي المودة: مجاز مرسل علاقته المسببية إذ حذف السبب وهو القصائد التي يحدو بها الحادي، وذكر أثرها الناتج عنها وهو المودة. والمودة شدة المحبة.

التي تُغرسُ في القلوبِ مَوَدَّةَ ومحبَّةَ النبيّ ﷺ وتُهيّجُ وتثيرُ الأحزانَ لدى الْمُحِبِّ البعيدِ عن مَحْبُوْبِهِ.

وَاللهِ مَا ذُكِرَ الحَبِيْبُ لَدَى المُحِبْ   إِلاَّ وأضْـــحَى وَالِهَـــاً نَشْـــوَانَا

أقسم شيخي الناظم رضي الله عنه باللهِ تعالى هُنا عندَ ذكرِهِ دليلَ المحبّةِ الصادقةِ كي يَعلمَ كلُ إنسانٍ مِن نفسهِ إنْ كان محبّا حقّا أم لا فقال: (**واللهِ ما ذُكِرَ الحبيبُ لدى المـُحبْ إلا وأضحى والها نشواناً**) واللهِ ما ذكرَ الحبيبُ عندَ المحبِّ إلّا وصارَ المحبُّ والهاً أي متحيّراً. نشواناً أي سكراناً بحبّ حبيبهِ عندَ سماعِهِ ذِكْرَهُ لاسيما إنْ كان ذلك الذّكرُ بقصائدَ مدحٍ في الحبيبِ تُنشَدُ بصوتٍ حسنٍ يُطرِبُ الآذانَ وينعِشُ القلوبَ وحذَفَ رضي الله عنه تنوينَ نشوانا لأجلِ القافيةِ وذلكَ جائزٌفي الشعرِ وسيأتي مثلُهُ فاعلمْهُ.

أَيْـــنَ المُحِبُّـــونَ الَّـــذِيْنَ عَلَـــيْهِمُ   بَـذْلُ النُّفُـوْسِ مَـعَ النَّفَـائِسَ هَـانَا

أينَ هؤلاءِ المحبونَ الصادقونَ في محبّتهِمْ للحبيبِ ﷺ وهم الذينَ يهونُ عندَهُم ويصغرُ في أنفسِهِم بذْلُ النّفسِ والنّفيسِ وكلِّ ما يملكونَ في سبيلِ محبّةِ ونصرةِ الحبيبِ ﷺ ونشرِ دعوتِهِ وسيرتِهِ ودينِهِ الحنيفِ في أرجاءِ الأرضِ ممتثلينَ أوامرَ ربِّهِمْ تباركَ وتعالى بذلكَ في قولهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا

تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. إنَّ المحبّةَ الصّادقةَ لا تقفُ عندَ حزنِ القلبِ وتحيُّرِ العقلِ وسُكرِهِ عندَ سماعِ ذكرِ المحبوبِ .... بل لا بدَّ معَ ذلكَ أنْ يهونَ على المحبِّ بذلُ نفسهِ ومالهِ في سبيلِ رضَى المحبوبِ ونصرتِهِ.

لَا يَسْمَعُوْنَ بِذِكْرِ طَهَ المُصْطَفَى إِلَّا بِهِ انْتَعَشُوا وَأَذْهَبَ رَانَا

هؤلاءِ المحبُّون الصّادقونَ السّالفُ ذِكْرُهُم لَا يسمعونَ بذكرِ طَهَ الحبيبِ المصطفَى وإنشادِ المدائحِ النّبويّةِ في سيرتِهِ وشمائلِهِ إلا وانشرحَتْ صدورُهُم ونشطتْ جوارحُهُم وأذهبَ اللهُ عنهم رانَ قلوبِهِم المحيطُ بها بسببِ المعاصِي.

فَاهْتَاجَتِ الأَرْوَاحُ تَشْتَاقُ اللِّقَا وَتَحِنُّ تَسْأَلُ ربَّهَا الرِّضْوَانَا

وبعدَ اكتمالِ أركانِ المحّبةِ الصادقةِ لدى المحبّين، اهتَاجتْ أي ثارتْ أرواحُهُم شوقاً وحنيناً إلى لقاءِ الحبيبِ ﷺ. فمِنْهم مَن اشتاقتْ روحُهُ لرؤيةِ الحبيبِ ﷺ يقظةً ومنامًا في الدّنيا قبلَ الآخرةِ. فعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النّبي ﷺ قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُونَ قَومًا نعالُهُم الشَّعرُ .. إِلَى أنْ قالَ ﷺ: وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلَ أَهْلِهِ

وماله[1]. ومنهُم الأرفعُ درجةً في المحبّةِ فتمنَّى الموتَ لتلقى روحُهُ روحَ الحبيبِ ﷺ ويكونَ معهُ ومِن هؤلاءِ السّيدةُ فاطمةُ الزهراءُ بنتُ المصطفى رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لمـّا أخبرَها ﷺ بأنّها أوّلُ أهلِ بيتهِ لحوقًا بهِ فضحكتْ واستبشرتْ. ومنهم أبو بكرٍ الصديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذْ قال في قصيدةٍ يُرثي فيها الحبيبَ ﷺ:

فَلَيْتَ الْمَمَاتُ لَنَا كُلَّنَا وَكُنَّا جَمِيْعًا مَعَ الْمُهْتَدِي[2]

(**تَسْأَلُ رَبَّهَا الرِّضْوَانَا**) هذهِ الأرواحُ المشتاقةُ للقاءِ الحبيبِ ﷺ تسألُ مِن ربّها الرضَى والقبولَ ومرافقةَ الرسولِ ﷺ.

حَالُ الْمُحِبِّيْنَ كَذَا فَاسْمَعْ إِلَى سِيَرِ الْمُشَفَّعِ وَارْهِفِ الْآذَانَا

(**حَالُ المُحِبِّينَ كَذَا**) إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ حالَ المحبِّين الصادقينَ الكُمَّلِ فإنَّ حالَهُم هكذا، وهو المشارُ إليهِ في الأبيَاتِ الأربعةِ السابقةِ. (**فَاسْمَعْ إِلَى سِيَرِ المُشَفَّعِ**) فإذَا عَلِمْتَ حالَ المحبِّين وأَرَدْتَ أن تَسْلُكَ مَسْلَكَهُمْ وتَشْرَبَ مِن كَأْسِهِمْ فاسمعْ أَوَّلَ الأمْرِ إلى سِيرةِ المشفَّعِ وقصةِ وِلادتِهِ وشَمائِلِهِ. (**وارهف**

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات

الآذانا) رَقِّقِ السَّمْعَ. وعَبَّرَ بالآذانِ عن السَّمْعِ لأنها مَحَلٌّ له، وجَمَعَ الآذان مراعاةً لمعنى الفِعْلِ، لأنَّ الفعلَ خِطابٌ لكلِّ مَنْ أرادَ أن يَسْلُكَ طريقَ المحبِّين.

وَانْصِتْ إِلَى أَوْصَافِ طٰهَ الْمُجْتَبَى وَاحْضِرْ لِقَلْبِكَ يَمْتَلِئْ وِجْدَانَا

(**وَانْصَتْ إِلَى أَوْصَافِ طَهَ الـمُجْتَبَى**) وانْصِتْ ولا تَتَكَلَّمْ مُستَمِعًا إلَى أوصافِ طهَ المجتبَى المصطفَى ﷺ ومدائِحِهِ التي تُقرَأُ نثرًا ونَظْمًا في مجالسِ ذِكْرِهِ والفَرَحِ به (**وَاحْضِرْ لِقَلْبِكَ يَمْتَلِئْ وِجْدَانَا**) وأَحْضِرْ قَلْبَكَ (اللامُ حرفُ جرٍ زائدٍ) خاشعاً مُعَظِّماً للحضرةِ النبويّةِ مُتأدِّباً فيها مُستحضِراً قولَه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ مُسْتشعِراً حضوْرَك بينَ يديهِ ﷺ. واحْذَرْ سُوْءَ الأدبِ والاسْتِخْفَافِ بتلك المجالسِ، فإنَّ الاسْتِخْفَافَ بها مُحْبِطٌ للأعمالِ. فإنْ حضرْتَ بقلْبٍ خاشعٍ حاضرٍ مُحِبٍّ مُعَظِّمٍ للحبيبِ ﷺ امْتَلأَ قلبُك وِجْدانا -أي محبّةً شديدةً لهُ ﷺ وصِرْتَ مؤمِنا حقّا لأنَّ محبَّتَهُ ﷺ فرضٌ وهي عيْنُ حُبِّ اللهِ تعالى. وقالَ الإمامُ الغزالي رضي الله عنه : اعلَم أنَّ الأمَّةَ مجتمعةٌ على أنَّ الحبَّ للهِ تعالى ولرسولِهِ ﷺ فرضٌ. وردَّ قوْلَ مَن يُفَسِّرُ الحبَّ بالطاعةِ. لإنَّ الطاعةَ تَبَعٌ للحُبِّ وثَمَرَتُهُ، فلا بدّ أنْ يَتَقدَّمَ الحبُّ على الطاعةِ ثم بعْدَ ذلك يُطيْعُ مَن أَحَبَّ. ويَدُلُّ على إثباتِ الحبِّ قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا أَشَدُّ حُبًّا

لِلّهِ ﴾. وهو دليلٌ على إثباتِ الحبِّ وإثباتِ التَّفاوتِ فيهِ[1]. ومِن أدلةِ فرضيَّةِ محبةِ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴿٢٤﴾﴾. وعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بيدهِ لا يُؤمنُ أحدُكُم حتىَ أكونَ أحبَّ إليهِ مِن وَالدهِ وولدهِ. وفي روايةِ أَنسِ بنِ مالكٍ: لا يُؤمنُ أحدُكُمْ حتىَ أكونَ أحبَّ إليهِ من والدهِ وولدهِ والنّاسِ أجمعينَ[2]. وكذا حبُّ الصالحينَ أمرٌ مطلوبٌ محمودٌ قال الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه :

أُحِبُّ الصالحينَ ولستُ منهُمْ لَعَلّي أنْ أَنالَ بِهِم شَفَاعَةْ

نَبَّأَنَا اللهُ فَقَالَ جَاءَكُمْ نُورٌ فَسُبْحَانَ الَّذِي أَنْبَانَا

(**نَبَّأَنَا اللهُ فَقَالَ جَاءَكُمْ نُورٌ**) أخبرَنا اللهُ سبحانَهُ في كتابِهِ العزيزِ فقالَ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾. (**فَسُبْحَانَ الَّذِي أَنْبَانَا**) نُنزّهُ تنزيهاً الذِي أخبرَنا بمجيءِ ذلك النورِ من عندهِ إلينَا.

---

(١) كتاب المحبة والتشوق للإمام الغزالي

(٢) رواهما البخاري

وَالنُّـــوْرُ طٰـــهٰ عَبْـــدُهُ مَـــنَّ بِـــهِ فِي ذِكْـــرِهِ أَعْظِـــمْ بِـــهِ مَنَّـــانَا

(**وَالنُّورُ طَهَ عَبْدُهُ**) وذلكَ النُّورُ هو طَهَ عبدُهُ وهو محمدٌ ﷺ المذكورُ في قولِهِ تَعَالَى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾. وعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: ما رأيتُ شيئًا أحسنَ مِن رسولِ اللهِ ﷺ كأنَّ الشمسَ تجري في وجهِهِ.. الحديثَ[١]. وعن جابرِ بنِ سُمرةَ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في ليلةِ أُضحيانٍ وعليهِ حُلّةٌ حمراءُ فجعلتُ أنظرُ إليهِ وإلى القمرِ، فلهوَ عندِي أحسنُ مِنَ القمرِ[٢].

قالَ الإمامُ السيوطِي رحمه الله تعالَى في تفسيرِ قولهِ تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَايُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ النّورُ هو النّبيّ ﷺ[٣]. وقال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا﴾.

(**مَنَّ بِهِ فِي ذِكْرِهِ أَعْظَمْ بِهِ مَنَّانَا**[٤]) مَنَّ بهِ علَى المؤمنينَ وبيّنَ لهمُ هذهِ المنّةَ العظميةَ فِي كتابهِ الكريمِ فِي قولهِ تعالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي

(٢) رواه الدارمي والترمذي. ليلة إضحيان : ليلة مقمرة.

(٣) تفسير الجلالين

(٤) أعظم به منانا : أعظم فعل تعجب والباء حرف جر زائد والهاء ضمير متصل في محل رفع فاعل. ومنانا تمييز : أي ما أعظمه منانا

فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الآية. فمَا أعظمَهُ منانًا وقَد منَّ علينَا بأعظمِ منّةٍ وهوَ محمد ﷺ.

فائدةٌ:في هذهِ الآيةِ ونظيراتِها بيّنَ وميَّزَ اللهُ المؤمنينَ مِن غيرهِم مِن دعاةِ الفتنةِ والأهواءِ. فجعلَ المؤمنينَ همُ الذِينَ يزكّيهِم ويطهّرُ قلوبَهُم حبيبَهُ ﷺ بتلاوتِهِ عليهم لآياتِهِ. ثُم تعليمِهم الكتابَ أي علومَ القرآنِ والسّنّةِ. والحكمةَ وهيَ السّرُّ والنّورُ الذي أُوتيهِ النَّبيّ ﷺ. ثمَّ بشَّرَ سبحانَهُ مَنِ اتّصلَ بسندِ الآخذِين عنهُ وتَزكَى بينَ أيديهِم وأخذَ علومَ الكتابِ والسّنّةِ مِن أفواهِهِم أنّهُ مِنهم. قالَ تعالَى: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ عَن سهلٍ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ مِنْ أصلابِ أصلابِ رجالٍ مِن أصحابِي رجالًا ونساءً يدخلُونَ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ. ثمَّ قرأَ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]. ومِنهم الأولياءُ الّذينَ اصطفَاهُم اللهُ وعلّمَهم من لدنْهُ علمًا. قَالَ تعالَى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

هُوَ رَحْمَةُ المَوْلَى تَأَمَّلْ قَوْلَهُ   فَلْيَفْرَحُوا وَاغْدُوا بِهِ فَرَحَانَا

(١) أخرجه الطبراني بسنده

(هُوَ رَحْمَةُ المَوْلَى) هُوَ ﷺ رحمةُ المَولَى التِّي أكرمَنَا بِهَا وَقَدْ أخبرنَا بِذلك فِي قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾. فإذَا علمْتَ أنّهُ الرّحمةُ المرسَلةُ للعالمِيْنَ **(تَأَمَّلْ قَوْلَهُ فَلْيَفْرَحُوا)** انظُر فِي قولِهِ تعالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوْا﴾ مُتأمّلاً ومُستبيناً أَمْرَ اللهِ لحبيبِهِ ﷺ بأَنْ يأمرَ المسلمينَ بالفرحِ بفضلِ اللهِ وهوَ الإسلامُ وما اشتملَ عليهِ مِنَ المُنَاسَبَاتِ والأعيادِ والفرحِ برحمتِهِ وهوَ محمد ﷺ. فعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: أنَّ أبَا بكرٍ رضي الله عنه دخلَ عليهَا وعندهَا جاريتَانِ فِي أيّام منى تغنيَانِ وتدففَانِ (أي تضربَان بالدُّف) والنَّبِيُّ ﷺ متغّشٍ بثوبِهِ فانتهرهُمَا أبُو بكرٍ فكشفَ النّبيّ ﷺ عَنْ وجهِهِ فقالَ: دعهُمَا يَا أَبَا بكرٍ فإنّها أيّامُ عيدٍ –وتلكَ الأيّامُ أيّامُ مِنَى–. وقالتْ السيّدةُ عائشةُ رضي الله عنها: رأيْتُ النّبيَّ ﷺ يستُرُنِي وأنَا أنظرُ إلَى الحبشةِ وهم يلعبُونَ فِي المسجدِ فزجرَهُم عمرُ فقالَ النَّبي ﷺ: دَعْهُم، ثُمَّ قالَ: أمْنًا بني أرفدةَ، يعني مِنَ الأمنِ[1]. ومعنَى تنظرُ إليهِمْ أي إلى لَعِبِهِم. إذا علمتَ ذلكَ فاعلمْ أنَّهُ ﷺ أصلُ الرّحمةِ ومنبعُهَا وغيرُهُ مِن نِعَمِ اللهِ علَى المسلمِيْنَ هِيَ آثارُ هذهِ الرّحمةِ المهداةِ ﷺ ، لذلكَ أمرَنَا اللهُ أَنْ نفرحَ بِهِ ونحتفلَ بِهِ ونعظِّمَهُ. فإذَا كانتْ أيّامِ مِنى وقد غَنَّتْ الجاريتانِ في بيتِ حبيبِ اللهِ ﷺ وضربَتا الدُّفوفَ في حضرتِهِ

---

(١) رواه البخاري. وفي رواية لمسلم تغنيان بدف. وللنسائي بدفين

وهوَ يسمعُ ولم ينكرْ عليهما، ولمَّا انتهرُهُما سيّدُنا أبُو بكرٍ ﵁ فقالَ لهُ ﷺ: دَعْهُمَا يا أبَا بكرٍ فإنَّها أيّامُ عيدٍ. وإذَا كانَ الحبشةُ يلعبُونَ ويرقصُونَ في مَسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ وبحضرتِهِ ، ثُمَّ زجرَهُم سيِّدُنا عمرُ ﵁ فقالَ لهُ النَّبي ﷺ: دَعْهُم. ثُمَّ قالَ : أمنّا بني أفردة. فإذا كانتْ هذهِ الأعيادُ حسنةً مِن حسناتِ الحبيبِ ﷺ على وقد أقرَّ الاحتفالَ بِهَا والغِنّاءَ بالشِّعر المباحِ وضربِ الدُّفوفِ وأقرَّ اللّعبَ في مسجدِهِ يومَ عيدٍ، فكيفَ لا يكونُ جائزًا الفرحُ والاحتفالُ والاجتماعُ لقراءةِ قصَّةِ مولدِهِ وسماعِ المدائحِ النبويّةِ. وهوَ أصلُ كلِّ نعمةٍ وكلِّ فضلٍ ﷺ. بل إنَّ تعظيمَهُ والفرحَ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الطاعاتِ وأجلِّ القرباتِ وأقوَى الأسبابِ التّي تُغرسُ في قلوبِ المسلمينَ محبّتَهُ التّي هيَ فرضٌ على كلّ مؤمنٍ.

فائدةٌ: دلَّ الحديثانِ السّابقانِ على أحكامٍ منها:

- ❖ أَنَّ الفرحَ والاحتفالَ بالمناسباتِ الدينيّةِ والأعيادِ مطلبٌ شرعيٌّ
- ❖ أَنَّ الشّرعَ لم يحدّدْ للإحتفالِ بهذهِ المناسباتِ كيفيّةً خاصّةً، وعليهِ فكلُّ كيفيّةٍ يُعبّرُ بهَا عَنِ الفرحِ برسولِ اللهِ ﷺ تكونُ جائزةً ما لَم تشتملْ علَى محظورٍ شرعًا كاختلاطِ الرّجالِ بِالنّساءِ أو استعمالِ آلاتِ اللّهوِ المحرّمةِ.
- ❖ جوازُ الغناءِ المباحِ والضربُ عليهِ بالدفوفِ.

فائدةٌ: أوّلُ مَنْ أنشدَ شعرًا في مولدِهِ ﷺ هو عمُّهُ العبّاسُ رضي الله عنه حينَ قالَ: يا رسولَ اللهِ إنّي أريدُ أنْ أمْتدِحَكَ. فقالَ ﷺ قُل لا يفضضِ اللهُ فاكَ. فقالَ رضي الله عنه:

مِنْ قَبْلِهَا طبّتْ فِي الظِّلَالِ	مُستودعٍ حيثُ يُخصَفُ
ثمّ هبطْتَ البلادَ لا بشرٌ	أنتَ لا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركبُ السفينَ وقد	ألجمَ نِسرًا وأهلَّهُ الغرَقُ
وردْتَ نارَ الخليلِ مُكتتَمًا	تجولُ فيها وليسَ تحترقُ
تُنقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ	إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ
حتّى احتوى بَيتَكَ المهيمنُ	خَندَفٍ علياءَ تحتَها نُطَقُ
وأنتَ لمّا وُلِدْتَ أشرقتُ الأر	ضُ وضاءتْ بنورِكَ الأفقُ
ونحنُ في ذلكَ الضّياءِ وفي	رِ وسُبُلِ الرَّشَادِ نخترقُ

فكانَ هذَا أوَّلَ مولدٍ أُنشدَ في حضرتِهِ ﷺ.

وقَدْ أنشدَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم شعراً ونثراً في مولدِهِ وحبّهِ وبيانِ أوصافِهِ وشمائِلِهِ وعظمتِهِ وأخلاقِهِ ﷺ. وَمن ذلك قولُ حسانَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه:

وَأَجملُ منكَ لَمْ ترَ قطُّ عينٌ	وأكملُ منكَ لَمْ تلدِ النِّساءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِن كلِّ عيبٍ	كأنَّكَ قد خُلِقْتَ كمَا تشاءُ

وسارَ على هذا السبيلِ التّابعونَ فمَنْ بعدَهُم مِن أهلِ المحبّةِ والنّورِ قرنًا فقرنًا حتّى انتشرتِ المجالسُ النبويّةُ في أرجاءِ الأرضِ مضيئةً كانتشارِ الكواكبِ في اللّيلةِ الظّلماءِ. **(واغْدُوا بهِ فَرحانا)** إذا تأمّلْتَ أمرَ اللهُ بالفرحِ بِهِ ﷺ فصِرْ بهِ فرحاناً في كلّ أوقاتِك. قال الإمامُ الديبعيُّ رضي الله عنه:

ولـو أنَّـا عمِلنَـا كـلَّ حـينٍ　　　لأحمدَ مَولدًا قد كانَ واجبْ

مُسْتَمْسِكاً بِالعُروَةِ الوُثْقَى وَمُعْـ　　　ـتَصِماً بِحَبْلِ اللهِ مَنْ أَنْشَانَا

(مُسْتَمْسِكاً بالعُروَةِ الوُثقَى) احتفِلْ وافرحْ بالحبيبِ ﷺ في كلِّ أوقاتِكَ و كُنْ حالَ فرحِكَ بهِ مُستَمسِكاً بالعُروةِ الوُثقى أي العقيدةِ المُحْكَمةِ الثابتةِ **(ومُعْتَصِماً بحبلِ اللهِ مَنْ أنشانا)** مُسْتَمْسِكاً بدينِ اللهِ الذي خَلَقنا مِن العدمِ. وبأَحكامِ كتابِهِ الكريمِ وسُنَّةِ حبيبِهِ ﷺ مجتنباً المحظوراتِ الشرعيةَ ومُلتزماً الآدابَ والأخلاقَ النبويّةَ

وَاسْتَشْعِرَنْ أَنْوَارَ مَنْ قِيلَ مَتَى　　　كُنْتَ نَبِيّاً قَالَ آدمُ كَانَا

بَيْنَ التُّرَابِ وَبَيْنَ مَاءٍ فَاسْتَفِقْ　　　مِنْ غَفْلَةٍ عَنْ ذَا وَكُنْ يَقْظَانَا

(واسْتَشْعِرنْ أنوارَ مَنْ قِيلَ متى كنتَ نبياً قالَ آدمُ كانَ بينَ الترابِ وبين ماءٍ) وفي حالِ فرحِك وسماعِكَ لقراءةِ سيرتهِ وشمائِلِهِ استحضِرْ قلبكَ وجميعَ حواسِك وكُنْ على غايةٍ مِنَ الإجلالِ والتعظيمِ كأنَّكَ تنظرُ إلى أنوارِ وجمالِ الذي قِيلَ له متى كُنتَ نبيّا قال: وآدمُ بينَ الترابِ والماءِ. عن مُطرِفِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الشّخيرِ رضي الله عنه أنَّ رجُلاً سألَ رسولَ اللهِ ﷺ: متى كنتَ نبيّا؟ قال: بينَ الروحِ والطينِ مِن آدمَ(١). وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسولَ اللهِ متى وجبتْ لك النُّبوَّةُ؟ قال: وآدمُ بينَ الروحِ والجسدِ(٢).

ورحمَ اللهُ القائلَ:

سَبقتْ نُبوَّتُهُ وآدمُ طينةٌ ... فلهُ الفَخارُ على جميعِ النَّاسِ

سُبْحانَ مَنْ خصَّ النبيَّ محمدًا ... بفَضائلَ تُتْلى بِغَيرِ قِياسِ

(فاسْتَفِقْ مِنْ غفلةٍ عنْ ذا وكُنْ يَقْظانَا) فانتبهْ مِنْ غفلتِكَ عن ذا الذي اختصَّ اللهُ حبيبَهُ ﷺ مِنَ المزايا والعطايا والفضائلِ، وكُنْ مُستيقظاً مُستحضِراً ذلك كلَّهُ في كلِّ أحوالِكَ وأوقاتِك.

قال الإمامُ البوصيريُّ رحمهُ اللهُ تعالى:

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

فكيــفَ يُــدرِكُ فــي الــدنيا قومٌ نيامٌ تَسلَّوا عنْـهُ بـالحُلُمِ

وَاعْــبُرْ إِلَى أَسْــرَارِ رَبِّي لَمْ يَــزَلْ يَنْقُلُــنِي بَــيْنَ الخِيَــارِ مُصَــانَا

لَمْ تَفْــتَرِقْ مِــنْ شُــعْبَتَيْنِ إِلَّا أَنَا فِي خَيْرِهَــا حَــتَّى بُــرُوزِيَّ آنَا

(واعبرْ إلى أسرارِ ربّي) وامضِ أيها المحبُّ إلى معرفةِ أسرارِ ربي وعطاياهُ **(لم يزلْ ينقلني بينَ الخيارِ مصاناً لم تفترقْ مِن شُعبتينِ إلا أنا في خيرِها حتّى بُروزيَ آنا)** فَإِنَّهُ سبحانَهُ بعدَ أَن جَعلنِيْ نبيًّا قبلَ نفخِهِ الروحَ في آدمَ لمْ يَزلْ يَنقلنِي بينَ خيارِ خلقهِ مِن أصلابِ الطاهرينَ إلى أرحامِ الطاهراتِ مُصاناً محفوظاً مِن سِفاحِ الجاهلِيَّةِ لم تتشعبْ شُعبتان مِنْ شُعبِ النَّسبِ الشريفِ إلا كنتُ في خيرِ شعبةٍ وأفضلِها. حتّى آنَ أوانُ ظهورِي في هذا الكونِ فَولَدتني أُمِّي طاهراً مُطهراً.

عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لم يزلِ اللهُ يَنقلني مِن الأصلابِ الطيبةِ إلى الأرحامِ الطاهرةِ مصفًّى مُهذَّباً لا تتشعبُ شُعبتانِ إلا كنتُ في خَيرِها[1]. وعنْ واثلةَ بنِ الأسقعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اللهَ اصطفى مِن ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ واصطفى مِن ولدِ إسماعيلَ بني كِنانةَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة

واصطفى مِن بني كِنانةَ قُريشاً واصطفى مِن قريشٍ بني هاشمٍ واصطفاني مِنْ بني هاشمٍ(١).

فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارِ قَدْ خَرَجْتُ   مِــنْ نِكَــاحٍ لِي إِلَهِــيَ صَــانَا

فأنا خيرُ خلقِ اللهِ اصطفاني ربي مِنْ خيارِ خلقِهِ ، وقد خرجتُ مِنْ نكاحٍ صانَهُ إلهي مِنْ سفاحِ الجاهليةِ. عنْ سيّدِنا عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: خرجتُ مِنْ نكاحٍ ولم أَخرُجْ مِنْ سفاحٍ مِنْ لدنْ آدمَ إلى أنْ ولَدَني أبي وأمّي لم يُصبْني مِن نكاحِ الجاهليّةِ شيءٌ ما ولدَني إلا نكاحٌ كنكاحِ الإسلامِ(٢).

طَهَّــــرَهُ اللهُ حَمَــــاهُ اخْتَــــارَهُ   وَمَــا بَــرَى كَمِثْلِــهِ إِنْسَــانَا

(طَهَّرَهُ اللهُ حماهُ اختارَهُ) طَهَّرَهُ اللهُ باطناً وظاهراً وطَهَّر نسبَهُ الشريفَ وحَمَاهُ مِنْ سِفاحِ الجاهليَّةِ واختارَهُ حبيباً ونبيّاً ورسولاً.

(وما بَـرَى كمثلِهِ إنسـاناً) ما خلقَ اللهُ في الخلقِ مِثلَ محمدٍ ﷺ في جمالِ الذاتِ وكمالِ الصفاتِ وعظيمِ الأخلاقِ وجلالِ الأنوارِ. قالَ تعالى: ﴿

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر

وَسِراجًـا مُنِـيْرًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّـكَ لَعَـلَى خُلُـقٍ عَظِـيْمٍ ﴾. قالَ الإمامُ البوصيريُّ رحمهُ الله تعالى :

فَهْوَ الذي تَمَّ معنـاهُ وصـورتُهُ ثُمَّ اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عنْ شريكٍ في محاسـنِهِ فجوهرُ الحسنِ فيهِ غيرُ مُنقَسِمِ

وقالَ الإمامُ الحبيبُ علِي الحَبشِيُّ رحمهُ اللهُ تعالَى:

حاولتْ أنْ أصفَ الحبيبَ ببعضِ ما فَهِمَ الفؤادُ مِـنَ الثنـا القرآنـي

فوجـدْتُ قـولي لا يفـيءُ بـذرةٍ مِنْ عُشْرِ مِعْشَارِ العَطَا الرَّبَّاني

مِنْ أينَ يُعـرِبُ مِقْـولي عـنْ حضـرةٍ عَنْ مدحِهَا قدْ كَلَّ كُلُّ لسانِ

مِـنْ بعـدِ أنْ جـاءَ الكتـابُ بِـهِ فمـا مقدارُ مَدْحِ العـالِمِ الإنسـاني

وقال شيخي الناظمُ رضي الله عنه في ختامِ هذا النّظمِ المباركِ :

والـلّـهُ قدْ أثنى عليهِ فما يُسَـا ويْ القولُ مِنَّـا أو يكـونُ ثنانـا

وَبِحُبِّــهِ وَبِــذِكرِهِ وَالنَّصْــرِ وَالتَّــ ــوْقِيرِ رَبُّ العَـرْشِ قَـدْ أَوْصَـانَا

(**وبحُبّهِ**) ﷺ قد أوصانا ربُّ العرشِ سبحانَهُ وتعالى في قولِه: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ إلى قولِه: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ.. ﴾ الآيةَ. (**وبذكرِهِ**) وأوصانا بذكرِ سيرتِهِ وأوصافِهِ للإقتداءِ بهِ. وأوصانا بكثرةِ الصلاةِ والسلامِ عليهِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلايِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(**والنَّصْرِ والتَّوقِيْرِ ربُّ العَرْشِ قد أوصَانَا**) سبحانَهُ في آياتٍ منها قولُهُ تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ و قوله تعالى : ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

والقرآنُ كلُّهُ خطاباً لحبيبِ الرحمنِ وتعظيماً لذاتِ ولدِ عدنانَ ﷺ: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ فجعلَ مبايعةَ الناسِ لحبيبِهِ ﷺ عينَ مبايعتِهِ. وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ فجعلَ طاعةَ حبيبِهِ ﷺ عينَ طاعتِهِ. وقال تعالى: ﴿ واللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ ﴾ أفردَ ضميرَ المفعولِ في يُرضوهُ لِيَدُلَّنا على أنَّ رضَا حبيبِهِ ﷺ هو

عينُ رضاهُ. وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ ﴾ الآيةَ. . قالَ الإمامُ تقيُّ الدينِ السُبُكيُّ ﵁: ومَنْ تأَمَّلَ القرآنَ كلَّهُ وجدَهُ طافحاً بتعظيمٍ عظيمٍ لقدرِ النبيِّ ﷺ.

هَــذَا وَقَــدْ نَشَــرَالإِلَهُ نُعُوتَــهُ   في الكُتْــبِ بَيَّنَهَــا لَنَــا تِبْيَــانَا

(هَذَا) المذكورُ في شأنِ الحبيبِ ﷺ في الأبياتِ السابقةِ من عظيمِ الخصائصِ والفضائلِ والشمائلِ. **(وَقَدْ نَشَرَ الإِلَهُ نُعُوتَهُ فِي الكُتْبِ بَيَّنَهَا لَنَا تِبْيَانَا)** وقد نشرَ الإلهُ أوصافَهُ العظيمةَ في الكتبِ الّتِي أنزلَها على الأنبياءِ قبلَهُ كالتوراةِ والإنجيلِ.

وبيّنَ لنَا أوصافَ حبيبِهِ ﷺ تبياناً في القرآنِ الكريمِ ومِن ذلك قولهُ تعالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ ﴾ وقولُهُ تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وقولُهُ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا ﴾ وقولُهُ تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ ﴾ الآيةَ.

أَخَــذَ مِيثَــاقَ النَّبِيّــينَ لَمَــا   آتِيْــتُكُمْ مِــنْ حِكْمَــةٍ إِحْسَــانَا

وَجَــاءَكُمْ رَسُــولُنَا لَتُــؤْمِنُنَّ   وَتَنْصُــرُونَ وَتَصْــبِحُونَ أَعْــوَانَا

أخذَ اللهُ العهدَ والميثاقَ علَى النّبيينَ قائلاً لهم لَلّذِي أعطيتكُمْ مِن كتبٍ أنزلتُها عَليكُمْ وفيها أوصافُ خاتمِ الرُّسلِ ومِن حِكمةٍ عَلَّمْتُكم إيّاها ثمَّ جاءكم رسولُنا محمد ﷺ لتؤمنُنَّ بهِ ولتنصرُنَّهُ وتصيرُون أعواناً لهُ أنتم وأقوامُكم. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وعَنْ عليّ بنِ أبي طالبٍ كرّمَ اللهُ وجههُ و رضي الله عنه : قالَ: لمْ يبعثِ اللهُ نبيّاً آدمَ فمَن بعدَهُ إلّا أخذَ عليهِ العهدَ في محمد ﷺ لَئِنْ بُعث وهوَ حيٌّ ليؤمنَنَّ بِهِ ولينصُرَنَّهُ و يأمرَه فيأخُذَ العهدَ على قومِهِ[1] أي بالإيمانِ بهِ ونُصرتِهِ.

قَـدْ بَشَّـرُوا أَقْـوَامَهُمْ بِالُمصْـطَفَى   أَعْظِـمْ بِـذَلِكَ رُتْبَـةً وَمَكَـانَا

(**قَـد بَشَّـرُوا أَقْـوَامَهُمْ بِالُمصْـطَفَى**) قَـدْ بَشَّـرَ جميـعُ الأنبيـاءِ أقـوامَهُم ببعثـةِ المصـطفَى ﷺ وخـاتمِ النبيـينَ وأخـذُوا علـيهمُ العهـدَ باتّباعـهِ إنْ هـم أدركـوهُ. (**أَعظِم بِذَلِكَ رُتْبَةً وَمَكَانَا**) مَا أَعظَمَ ذَلِكَ التَّبشيرُ الّذِي يدلُّ علَى الرّتبةِ العاليةِ والمكانةِ العظيمةِ لهُ ﷺ عندَ ربّهِ.

---

(١) أخرجه ابن جرير

فَهُــوَ وَإِنْ جَــاءَ الأَخِــيْرَ مُقَــدَّمٌ   يَمْشُــوْنَ تَحْــتَ لِــوَاءِ مَــن نَادَانَا

(فهو وإنْ جاءَ الأخيرَ مقدمٌ) فهوَ ﷺ وإن جاءَ متأخراً في البعثِ إلّا أنّهُ متقدّمٌ علَى الأنبياءِ في الخلقِ والنّبوةِ والفضلِ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: كُنْتُ أوّلَ النّاسِ في الخلقِ وآخرَهُم في البعثِ[١]. وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالُوا: يَا رسولَ اللهِ، مَتَى وجبتْ لكَ النُّبوةُ؟ قالَ: وآدمُ بينَ الرّوحِ والجسدِ[٢]. **(يَمْشُوْنَ تَحْتَ لِوَاءِ مَن نَادَانَا)** وهوَ ﷺ مقدّمٌ يومَ القيامةِ علَى جميعِ الخلقِ، يَمشونَ كلّهُمْ تحتَ لوائهِ ﷺ فهوَ الّذي نادانَا داعياً إلى اللهِ فأجبناهُ. عَن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أَنَا سَيّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ وَلا فَخرَ، وَمَا مِن نَبِيّ يومئذٍ آدمُ فمَن سِواهُ إلا تحتَ لوائي، وأنا أوّلُ من تنشَقُ عنهُ الأرضُ ولا فَخرَ[٣].

تنبيهٌ:

قولُهُ رضي الله عنه: **(فَهُوَ وَإِنْ جَاءَ الأَخِيْرَ)** فَالأخيرَ حالٌ مِن فاعلِ جاءَ أي جاءَ متأخراً في البعثِ، ولكنَّهُ متقدّمٌ في الخلقِ والنّبوةِ. واعلمْ أنّهُ لا يجوزُ رفعُ

---

(١) رواه أبو إسحاق عن قتادة مرسلا

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه

(٣) رواه الترمذي وقال حسن صحيح. ورواه أحمد في المسند.

الأخيرِ علَى أنّهُ فاعلٌ كمَا يتوهّم البعضُ مِن أن الحالَ لَا تأتِي معرفةً ، لأنَّ الرّفعَ على الفاعليّةِ يُفسدُ المعنَى لأنّهُ يلزمُ مِنَ الرّفعِ على الفاعليَّةِ بأنّهُ ﷺ الأخيرُ مطلقاً خلقاً ونبوّةً وبعثاً. والمعروفُ عندَ أهلِ اللّغةِ أنَّ الحالَ تأتِي معرفةً في فصيحِ كلامِ العربِ إذَا صحَّ تأويلُها بنكرةٍ. إِذَنْ فالأخيرَ هُنا حالٌ مؤوّلةٌ بنكرةٍ أي جاء متأخرًا، وذلك كقولِ العربِ (ادخلوا الأولَ فالأولَ)، فإنّ الأوّلَ فالأوّلَ حالٌ مِن فاعلِ اُدخلُوا مؤوَّلٌ بنكرةٍ، أي اُدخلُوا مرتّبينَ. ومن ذلك قولِ الشّاعرِ :

فَأَرْسَلَهَا العِرَاكَ وَلَمْ يَذُدْهَا ... وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَغَضِ الدِّخَالِ

فالعراكُ حالُ مِن مفعولِ أرسَلَها، أي أرسَلَ إبلَهُ معتركةً يدفعُ بعضُها بعضاً عندَ ورودِها على الماءِ.

يَا أُمَّةَ الإِسلَامِ أَوّلُ شَافِعٍ ... وَمُشَفَّعٍ أَنَا قَطُّ لَا أَتَوَانَى

يا أمّةَ الإسلامِ اسمعُوا وانصتُوا لأَحاديثِ الشّفاعةِ العظمَى والمقامَ العالي للحبيبِ ﷺ يومَ القيامةِ فإنِّي **(أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ)** يومَ القيامةِ. عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أنَا سيّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأوّلُ مَن

تنشقُّ عنهُ الأرضُ وأوّلُ شافعٍ وأوّلُ مشفَّعٍ[1]. **(أَنَا قَطُّ لَا أَتَوَانَى)** أوّلُ شافعٍ ومشفّعٍ أنا فحسبُ لا غيري، فلا أقصِّرُ ولا أفترُ عن الشّفاعةِ يومَ القيامةِ لأهلِ الموقفِ عامّةً ولأمّتي خاصّةً.

وفي ذلكَ قالَ الإمامُ البوصيريُّ رحمهُ اللهُ:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الَحادِثِ العَمِمِ

حَتَّى أُنَادَى ارفَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ نَجْمُ فَخْرِكَ بَانَا

(حتَّى أُنَادَى ارْفَع وَسَلْ تُعْطَ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ) وَذلكَ عندما يجتمعُ الأوّلونَ والآخِرُون في صعيدٍ واحدٍ يومَ القيامةِ والعرقُ يكادُ يُلجِمُهُم ويطولُ عليهِم يومُ القيامةِ فينطلقونَ إلَى آدمَ على نبيّنا وعليهِ الصّلاةُ والسَّلامُ ليشفعَ لهم عندَ اللهِ ليقضيَ بينهُم فيقولُ لهم: إنَّ اللهَ قد غضبَ اليومَ غضبًا لَمْ يَغضبْ قبلَه مثلَه ولن يغضبَ بعدَهُ مثلَه، نَفْسِي نَفْسِي، اذهبوا إلَى نوحٍ على نبيّنا وعليهِ أفضلُ الصّلاةُ والسَّلامُ. فيذهبونَ إليهِ فيقولُ لهم مثلَ قولِ آدمَ، فيذهبونَ إلَى إبراهيمَ على نبيّنا وعليهِ الصّلاةُ والسلامُ فيقولُ لهم مثلَ ذلكَ،

---

(١) رواه مسلم

فيذهبونَ إلَى موسَى على نبيّنا وعليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فيقولُ لهم مثلَ ذلكَ، فيذهبونَ إلَى عيسَى علَى نبيّنا وعليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فيقولُ لهم مثلَ ذلكَ. قالَ ﷺ: فيأتونَنِي فيستغيثونَ بِي، فأقولُ: أنا لَهاَ، ثمَّ أسجدُ تحتَ العرشِ حتَّى يُقالَ لِي: يا محمدُ ارفَعْ رأْسكَ وسَلْ تُعطَ وقُلْ يُسْمَعْ لقولكَ واشفعْ تشفَّعْ. فأرفعُ رأسِي فأحمدُ ربّي بتحميدٍ يُعلمنيهِ ربّي ثمَّ أشفعُ فيُحدُّ لي حدٌّ فأُخرجُهُم مِنَ النّارِ وأُدخلُهُم الجنّةَ. ثمَّ يسجدُ الثّانيةَ والثالثةَ والرّابعةَ ﷺ فيُخرجُ أمّتَهُ مِنَ النَّارِ إلَّا مَنْ حَبسهُ القرآنُ[1]. ثمَّ يشفعُ مِن بعدِهِ الأنبياءُ والصّديقونَ والشهداءُ والصالحونَ. (**نَجْمُ فَخْرِكَ بَانَا**) ظهرَ وأشرقَ مقامُ فضلِكَ وكمالُ عظمتِكَ كما يظهرُ نورُ النُّجومِ في السّماءِ ليلاً.

وَلِـــوَاءُ حَمْـــدِ اللهِ جَـــلَّ بِيَـــدِي وَلَأَوّلاً آتِي أَنَا الجِنَـــــــــــانَا

(**وَلِوَاءُ حَمْدُ اللهِ جَلَّ بِيَدِي**) اللّواءُ جمعهُ ألويةٌ وألوياتٌ وهو العَلَمُ، ولواءُ الحمدِ يومَ القيامةِ يُعقَدُ للحبيبِ الأعظمِ ﷺ. وما مِن نبيٍّ يومَ القيامةِ إلّا تحتَ لوائهِ ﷺ. (**وَلأَوَّلاً آتِي أَنَا الجِنَانَا**) ولَأَنَا أوّلُ مَن يأتِي الجِنَانَ فتُفتحُ لي فأَدخلُها.

---

(١) أحاديث الشفاعة رواها البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إِنّي لِأوّلُ النّاسِ تنشقُّ عنهُ الأرضُ.. إلىَ أنْ قالَ: وأنَا أوّلُ مَن يدخلُ الجنّةَ يومَ القيامةِ ولا فَخرَ، وإنّي آتي بابَ الجنَّةِ فآخذُ بحَلَقتِها فيقولونَ: مَن هذَا؟ فأقولُ: محمدٌ، فيفتحونَ لي فأدخُلُ[1].

وَأَكْــــرَمُ الخَلْـــقِ عَلَـــى اللهِ أَنَا فَلَقَــدْ حَبَــاكَ اللهُ مِنْــهُ حَنَــانَا

(وَأَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللهِ أَنَا) أَنَا أكرمُ خلقِ اللهِ علَى اللهِ وأشرفُهُم وأعظمُهُم وأفضلُهُم عندَهُ وأرفعُهُم منزلةً. عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أنَا أوّلهُم خروجاً وأنَا قائدُهُم إِذَا وفدُوا وأنا خطيبُهُم إذا أَنصتوا وأنا مُستَشْفِعُهُم إذَا حُبِسُوا وأنا مُبَشّرُهُم إذا أَيِسوا، الكرامةُ والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي، وأنَا أكرمُ ولدِ آدمَ علَى ربِّي، يطوفُ علَيَّ ألفُ خادمٍ كأنَّهم بيضٌ مكنونٌ أو لؤلؤٌ منثورٌ[2]. **(فَلَقَدْ حَبَاكَ اللهُ مِنْهُ حَنَانَا)** فواللهِ لقَدْ منحكَ اللهُ رحمةً منهُ وعطفاً.

وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ فَتَرْضَى جَلَّ مِنْ مُعْـطٍ تَقَاصَـرَ عَـنْ عَطَـاهُ نُهَـانَا

---

(١) رواه أحمد والدارمي

(٢) رواه الدارمي

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ فَتَرْضَى) اقتباسٌ مِن قولهِ تعالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهوَ وعدٌ مِنَ اللهِ لحبيبهِ ﷺ بالعطاءِ الجزيلِ في الدُّنيَا والآخرةِ. وحذفَ مفعولَ يُعطِي الثَّاني لأنَّ تلكَ العطايَا ليسَ لهَا حدٌّ ولا يحصرُها عدٌّ ولا يعلمُها أحدٌ إلّا اللهُ وحبيبهُ محم ﷺ. ومِنْ تِلكَ العطايَا الشَّفاعةُ العُظمَى يومَ القيامةِ لأمّتِهِ المؤمنينَ المحبّينَ للهِ ورسولهِ وآلِ بيتِهِ وصحابتِهِ والمؤمنينَ. قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قولهِ تعالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ رضَاهُ أنْ تَدخلَ أمّتُهُ الجنَّةَ كلُّهم[١]. وعَن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنّا أهلُ البيتِ اختارَ اللهُ لنَا الآخرةَ عَلَى الدُّنيَا. وقرأَ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٢]. وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِهِ تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قالَ: مِن رضا محمدٍ ألّا يُدخِلَ أحداً مِن أهلِ بيتِهِ النّارَ[٣]. ومِن أهلِ بيتِهِ والدَيهِ الشريفَين الطاهرَين وسيأتي الكلامُ في شأنِهما. **(جَلَّ مِنْ مُعْطٍ تَقَاصَرَ عَنْ عَطَاهُ نُهَانَا)** عظُمَ قدرُه فسبحانَهُ مِن معطٍ يُعطِي خَلقهُ عطاءً لا حصرَ لهُ ونعماً لا عدَّ لهَا، فتصاغَرتْ وقصُرتْ عقولُنا عَنْ حصرِ تلكَ العطايَا الإلهيّةِ وعَن الإحاطةِ بها.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة

(٣) أخرجه ابن جرير

بِاللهِ كَرِّرْ ذِكْرَ وَصْفِ مُحَمَّدٍ كَيْمَا تُزِيْحَ عَنِ القُلُوبِ الرَّانَا

أحلفُ باللهِ عليكَ أيُّها المـُحِبُّ للحبيبِ ﷺ كرّرْ مرّةً بعدَ الأخرى في كلِّ مكانٍ وزمانٍ وعلى كلِّ حالٍ ذكرَ أوصافهِ وشمائلِهِ والصلاةِ والسلامِ عليهِ لتُذهِبَ عن قلبِكَ الرانَ والغفلةَ. فتُشرقُ فيهِ أنوارُ محبّتِهِ ﷺ.

لَمَّا دَنَا وَقْتُ البُرُوزِ لِأَحْمَدٍ عَنْ إِذْنِ مَنْ مَا شَاءَهُ قَدْ كَانَا

(**لَمَّا دَنَا وَقْتُ البُرُوزِ لِأَحْمَدٍ**) لمـّا قَرُبَ وقتُ ظهورِ ولادةِ سيّدِ هذهِ الأُمّةِ المُسمَّى أحمدَ في التَّوراةِ والإنجيلِ

(**عَنْ إِذْنِ مَنْ مَا شَاءَهُ قَدْ كَانَا**) عَنْ إذنِ وإرادةِ الّذِي مَا شاءَ شيئاً يكونُ إلَّا كانَ بإرادتِهِ وقدرتِهِ وما لمْ يشأ لم يكنْ.

حَمَلَتْ بِهِ الأُمُّ الأَمِيْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ مَنْ لَهَا أَعْلَى الإِلَهُ مَكَانَا

(**حَمَلَتْ بِهِ الأُمُّ الأَمِيْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ**) حمَلَتْ بأحمدَ ﷺ أمُّهُ الأمينةُ الطاهرةُ آمنةُ بنتُ وهبٍ. وهيَ سيّدةُ نساءِ بنِي زهرةَ وأجملُهُنَّ وأفضلُهُنَّ وأبوهَا سيِّدُ قومِهِ بني زهرةَ.

(مَنْ لَهَا أَعْلَى الإِلَهُ مَكَانَا) وَهيَ الّتِي أعلَى الإلهُ سبحانَهُ وتعالَى لهَا مكانَتَها في قومِهَا وأعلَى شأْنَهَا عندَه بأنْ اختارَها أُمّا لأحبِّ الأنبياءِ إليهِ ﷺ.

مِـنْ وَالِـدِ المُخْتَـارِ عَبْـدِ اللهِ بِـنْ عَبْـدٍ لِمُطَّلِـبٍ رَأَى البُرْهَـانَا

(مِنْ وَالِدِ المُخْتَارِ عَبْدِ اللهِ) حملتْ بهِ أمُّهُ الأمينةُ مِن زوجِها عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطّلبِ والدِ المصطفَى ﷺ وقَد كانَ عبدُ اللهِ أجملَ فتىً في بنِي هاشمٍ وأحسنَهُم خَلْقاً وأجلَّهُم خُلُقاً. وكانَ نُورُ النَّبيّ ﷺ يلوحُ في وجهِهِ الشّريفِ.

وقَدْ كَانَ الأبوانِ الشريفانِ للحبيبِ ﷺ علَى دينِ جدِّهِم إبراهيمَ على نبيِّنَا وعليهِ الصّلاةُ والسّلامُ. وما وردَ مِن أحاديثَ تُوهِمُ خلافَ ذلكَ فإنَّها ضعيفةٌ ومتكلَّمٌ فيها وليستْ بحجّةٍ. وقد قالَ جماعةٌ مِنَ العلماءِ أنّ هذهِ الأحاديثَ على افتراضِ صِحَّتِها منسوخةٌ لأنَّها قَد وردَتْ قبلَ نزولِ الآياتِ القاطعةِ والأحاديثِ الصّحيحةِ بنجاةِ الأبوَينِ الطاهرَينِ. والتّي مِنها قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلًا﴾ فإنَّ أهلَ الفترةِ ناجون وهُم مَن مَات قبلَ بعثةِ النّبي ﷺ إلّا مَن استثناهُم النّصُّ كعَمرو بنِ لحيٍّ وغيرِهِ لأنَّهُ أوّلُ مَن أدخلَ الأصنام إلى جزيرةِ العربِ. وهذَا مذهبُ جميعِ الأشاعرةِ والشّافعيّةِ بلا خِلافٍ.

ومِن الآياتِ الدَّالّةِ علَى نجاتِهما قولُهُ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وسوفَ يقفُ ﷺ يومَ القيامةِ المقامَ المحمودَ فيقالُ لهُ: سلْ تعطهْ واشفعْ تُشفّعْ. وهل أحدٌ أحقُّ بشّفاعتِةِ مِن والدَيهِ الطاهرَينِ.

وقد ذهبَ جمعٌ مِنَ الأئمّةِ إلى أنْ آباءَهُ ﷺ كُلُّهُمْ إلى آدمَ كانوا على التوحيدِ وأنَّ آزرَ لم يكنْ أبا إبراهيمَ بل عمُّهُ، واستدلوا بقولِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ: لم أزلْ أُنَقلُ مِنْ أصلابِ الطاهرينَ إلى أرحامِ الطَّاهراتِ. وقد قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ ﴾ فوجَبَ ألا يكونَ أحدٌ منْ آبائِهِ مشركاً[1]. والطهارةُ الواردةُ في الأحاديثِ تَشْملُ طهارةَ العقيدَةِ وطهارةِ النِّكاحِ. قال الإمامُ الألوسي رحمهُ اللهُ[2]: ذهبَ الجمُّ الغفيرُ مِنْ أهلِ السُّنةِ أنْ آزرَ لم يكنْ والدَ إبراهيمَ. وقال: ليسَ بينَ النَّسَّابِينَ اختلافٌ في أنْ والدَ إبراهيمَ اسْمُهُ تارِحُ. قالَ الشّيخُ محمدٌ متولي الشّعراوي رحمهُ اللهُ: آزرُ عَمُّ إبراهيمَ الذي رباهُ. وجاءَ القرآنُ صريحاً بتسميةِ العمِ أباً قال اللهُ تعالى حكايةً عن أبناءِ يعقوبَ بن إسحاقَ: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ قَالُوْا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ فسمَّوا عمَّهمَ إسماعيلَ أباً.

---

(١) كتاب سبل الهدى والرشاد

(٢) كتاب روح المعاني

(بنِ عبدِ لِمُطَّلِبٍ) عَبْدُ المطَّلِب جدُّهُ ﷺ واسمُهُ شيبةُ الحمدِ وكانَ نورُ النَّبي ﷺ يَغمُرُ وجهَهُ. ولَهُ منقبتَانِ عظيمتَانِ. الأولَى: حفرُ بئرِ زمزمَ، وقَدْ دفَنتْها السُّيُولُ منذُ قرونٍ فرأَى في نومِهِ مَن يدلُّهُ عليهَا فحفرِها.

وَ الثَّانيةُ : إِهلاكُ أصحابِ الفيلِ الّذِينَ غزُوا مكّةَ وأرادُوا هدمَ الكعبةِ، حيثُ امتازَ بقريشٍ إلى رؤوسِ الجبالِ وجعلَ يدعُو اللهَ ويقولُ[١]:

لَا هُـــمَّ إِنَّ الـــمَرْءَ يَمْنَــــ ـــعُ رَحْلَــهُ فَــامْنَعْ حِلَالَــكْ

لَا يَغْلِـــــبَنَّ صَـــــليبُهم وَمِحَــالُهُم غــدُواً مِحَالَــكْ

(رَأَى البُرهَـانَا) رأَى عبدُ المطَّلبِ في المنامِ الدّليلَ علَى عظيمِ شأْنِ حفيدهِ ﷺ. رأَى كأنَّ سِلسلةً مِن فِضّةٍ خرجتْ مِن ظهرِهِ ولهَا طرَفٌ فِي السّماءِ وطرَفٌ فِي الأرضِ وطرفٌ في المشرقِ وطرفٌ في المغربِ، ثُمَّ عادتْ كأنَّها شجرةٌ على كلِّ ورقةٍ منها نورٌ وإذا أَهلُ المشْرِقِ والمغربِ يتعلقونَ بِها. فقصّها فعُبِّرَتْ لَهُ بمولودٍ يكونُ مِنْ صُلبهِ يتبعُهُ أهلُ المشرقِ والمغربِ ويحمدُهُ أهلُ السماءِ والأرضِ فلذلِك سمّاهُ محمّدًا معَ ما حَدَّثَتْهُ بهِ أُمُّه ﷺ.

قَدْ كَانَ يَغْمُرُ نُورُ طه وَجْهَهُ وَسَرَى إِلَى الإِبنِ المَصُونِ عِيَانَا

---

(١) كتاب حدائق الأنوار

قَد كانَ نورُ طهَ المصطفى ﷺ يغمرُ وجهَ جدِّهِ عبدِ المطلبِ ثُمَّ انتقلَ منهُ إلى وجهِ ابْنِهِ المصُونِ المحفوظِ عبدِ اللهِ الذي حَفِظَهُ اللهُ مِن الذَّبحِ. وذلك أنَّ عبدَ المطلبِ قد نذرَ أنَّهُ إذا رزقهُ اللهُ عشرةً مِنَ البنينَ لَيَنْحرَنَّ أَحدَهُم عِندَ الكَعبةِ فنزلتْ القُرعةُ على عبدِ اللهِ فَفُديَ بمائةٍ مِنَ الإِبلِ وسَلَّمَهُ اللهُ مِن الذّبحِ. لِذَلِكَ يُقالُ لِلنبيّ ﷺ ابنُ الذَّبيحَينِ أيْ إِسماعيلَ وعبدِ اللهِ رضي اللهُ عنْ أهلِ البيتِ الطاهرِ. **(عِياناً)** وانتقلَ ذلك النُّورُ مِنْ وجهِ عبدِ المطلبِ إلى وجهِ إبنهِ عبدِ اللهِ وكانَ يُرى عِياناً أَي مُشَاهدةً بالعيونِ فكانَ يُرى في وجهِهِ كالكَوكَبِ الدُّرّيِّ. تقولُ العربُ رآهُ عِياناً أي لم يشكَّ في رؤيتِهِ إيَّاهُ.

وَهُوَ ابْنُ هَاشِمٍ الكَرِيمِ الشَهْمِ بِنْ عَبْـدِ مَنَـافِ اِبْـنِ قُصَـيٍّ كَـانَا

(وهو ابنُ هاشمٍ الكريمِ الشهمِ) واسمُهُ عَمرُو العُلا ولُقّبَ هاشمًا لأنَّهُ أوّلُ مَن هَشَمَ الثَّريدَ. لقومِهِ بمكّةَ عندَما أصابتْهُم مجاعةٌ شديدةٌ. وهو الذي سَنَّ لِقريشٍ رِحلَتي الشتاءِ والصيفِ. وقد بلغَ مبلغاً عظيماً في الكَرمِ فكانَ ينحرُ الذّبائحَ للوحوشِ والطّيرِ على رؤوسِ الجِبالِ.

(بنْ عبدِ مَنَافِ) واسمُهُ المُغيرةُ ويُلقّبُ بقمرِ البطْحاءِ لسَماحتِهِ وجمالِهِ. قيلَ إنّهُ وجَدَ كتاباً في حجَرٍ وفيهِ. أنّ المغيرةَ أوصى قريشاً بتقوى اللهِ وصِلةَ الرّحِمِ.

وهو الذي قامَ مقامَ أبيهِ بالسِيادةِ و سِقايةِ الحاجِّ.

(بنِ قُصيٍّ) وسُمي مُجْمَعاً لأنَّهُ أوّلُ مَن جَمَعَ قُريشًا مِن الباديةِ إلى سُكنَى مكةَ. وأخرجَ مِنهَا خُزاعةَ ووُلّي أمرَ مكةَ كلَّهُ فكانتْ لهُ الحِجابةُ والسِقايةُ والرِفادةُ والنّدوةُ واللِّواءُ. وقال لقومِهِ إنّكم جيرانُ اللهِ وجيرانُ بيتِهِ وإنّ الحاجَّ زوّارُ بيتِ اللهِ وأحقُّ الأضيافِ بالكرامةِ أضيافُ اللهِ فجَعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحجِّ حتى يَصْدُروا.

وَالِــدُهُ يُــدْعَى حَكِيمًــا شَــأْنُهُ قَــدِ اعْتَلَــى أَعْــزِزْ بِــذَلِكَ شَــأْنَا

وكانَ (والدُهُ يُدعى حَكيمًا) والدُ قُصيٍّ هوَ حَكيمُ بنُ مُرَّةَ ولَقَبُهُ كِلابٌ، وهوَ الجدُّ الّذي يَلتقِي فيهِ نسبُ أبويهِ الشّريفين ﷺ.
(شأنُهُ قدْ اعتلَى) شأنُهُ قد ارتفعَ في قومِهِ فكانَ سيّدَهُم. قالَ بعضُ العربِ :

حكيمُ بنُ مُرةَ سادَى الورى ببذْلِ النّوالِ وكفِّ الأذى

ورفعَ اللهُ شأنَهُ بالتقاءِ نسبِ الأبوينِ الشّريفينِ فيهِ.
(أعزِزْ بذلكَ شأنا) ما أعزَّ ذلك الشّأنُ وما أرفعهُ وهوَ أنْ جعلهُ اللهُ جَدًّا لوالديِ النّبيّ ﷺ.

وَاحْفَظْ أُصُولَ المُصْطَفَى حَتَّى تَرَى فِي سِلْسِــلَاتِ أُصُــولِهِ عَــدْنَانَا

واحفظْ أيُّها المحبُّ للنّبيّ ﷺ أُصولَ النّسبِ الشّريفِ الطّاهرِ حتّى ترى في سلسلةِ النّسبِ جدَّهُ عدنانَ. فهوَ ﷺ محمد ابنُ عبدِ اللهِ بنُ عبدِ المطلبِّ بنُ هاشمٍ بنُ عبدِ منافٍ بنُ قُصيٍّ بنُ حكيمٍ بنُ مرَّةَ بنُ كعبٍ بنُ لُؤَيٍّ بنُ غالبٍ بنُ فِهرٍ بنُ مَالكٍ بنُ النَّضرِ بنُ كِنانةَ بنُ خزيمةَ بنُ مُدركةَ بنُ إلياسَ بنُ مُضرٍ بنُ نِزارٍ بنُ مَعدٍّ بنُ عدنانَ.

وأُمُّهُ ﷺ آمنةُ بنتُ وهبٍ بنُ عبدِ مَنافٍ بنُ زُهرةَ بنُ حَكيمٍ وهو الجدُّ الرابعُ لعبداللهِ أبُ النبيّ ﷺ.

فَهُنَاكَ قِفْ وَاعْلَمْ بِرَفْعِهِ إِلَى اسْـ ــمَاعِيـــلَ كَـــانَ لِـــلْأَبِ مِعْـــوَانَا

(فهُنَاكَ قِفْ واعْلَمْ برفعِهِ إلى اسماعيلَ) فإذا رأيتَ النّسبَ الطاهرَ قَد اتصلَ بجدِهِ عدنانَ فهُناك قِفْ عنْ ذكرِ مَنْ فَوقهُ مِن الأجدادِ لاختلافِ النّسّابينَ فيمَنْ فوقَ عدنانَ ، واعلمْ وتيقَّنْ أنّ النَّسبَ الشريفَ للحبيبِ ﷺ مرفوعٌ إلى النبيّ إسماعيلَ بنِ النبيّ إبراهيمَ على نبيِّنا وعليهِما أفضلُ الصلاةِ والسَّلامِ.

(كانَ للأبِ مِعْوانا) وقدْ كانَ إسماعيلُ مُعيناً لأبيهِ في بناءِ البيتِ الحرامِ وذلك بعدَ أَنْ بلغَ سِنَّ الثلاثينَ جاءَهُ أبوه وقالَ له: إنَّ اللهَ تعالى أمرني بأمرٍ. فقالَ: اصنعْ ما أمرَكَ اللهُ بهِ. قالَ: وتُعيْنُني. قال: وأُعِينُك. قال: إنَّ اللهَ أمرَنِي أنْ أبنِيَ هَهُنا بيتاً فعِندَ ذلكَ رفعَ القَواعدَ منَ البيتِ. ورُوىَ أنَّ أَوَّلَ مَنْ بنى

الكعبةَ المـُشَّرفةَ الملائكـةُ[١] ثُمَّ آدمُ[٢] ثُمَّ إبـراهيمُ وَ إسماعيلُ على نبيّنا وعليهِم أفضلُ الصلاةُ والسلامُ.

وَحِيْنَمَا حَمَلَتْ بِهِ آمِنَةٌ لَمْ تَشْكُ شَيْئًا يَأْخُذُ النِّسْوَانَا

وحينما حملتْ بهِ أمُّهُ الطاهرةُ آمنةٌ لم تشكُ شيئاً يأخذُ النساءَ مِن آلامِ وأوجاعِ وثقلِ الحملِ. بل كانتْ تقولُ: ما شَعُرتُ أَنّي حَمَلتُ بِهِ ولا وجدْتُ ثِقلَهُ كمَا تجدُ النسَاءُ إلا أنّي أَنكرتُ رفْعَ حَيضتي، وأتاني آتٍ وأنا بينَ اليقظةِ والمنامِ فقالَ: هلْ شَعُرتِ أنكِ حَملتِ بسيّدِ هذهِ الأُمَّةِ ونبيّها، وذلكَ يومُ الإثنينِ، وآيةُ ذلكَ أنَّهُ يخرجُ معهُ نورٌ يملأُ قصورَ بُصرى مِن أَرضِ الشَّامِ فإذا وُضِعَ فسمّيهِ محمّدًا. فقالت: كان ذلك مما يَقَّنَ عِندي الحَمْلَ ثُّم أَمهَلَني حتى إذا دنتْ وِلادتي أَتاني فقالَ: قولي: أُعيذُهُ بالواحدِ مِنْ شرِّ كلِّ حاسدٍ[٣].

وَبِهَا أَحَاطَ اللُّطْفُ مِنْ رَبِّ السَّمَا أَقْصَى الأَذَى وَالهَمَّ وَالأَحْزَانَا

---

(١) رواه الأزرقي عن علي بن الحسن رضي الله عنه

(٢) رواه البيهقي في الدلائل عن ابن عمر رضي الله عنه. ذكرهما الصالحي في كتاب سبل الهدى والرشاد

(٣) رواه ابن سعد والبيهقي عن ابن إسحاق

وأحاطَها باللُّطفِ والرِّعايةِ ربُّ السّماءِ سُبحانَهُ وتعالى وأَبعدَ عنهَا الأَذى وهو دمُ الوِلادةِ ونحوهُ. وقد أذهبَ اللهُ عنهَا الهمَّ والحُزنَ بهذا المولودِ العظيمِ تكرمةً لها.

وَرَأَتْ كَمَا قَدْ جاءَ مَا عَلِمَتْ بِهِ أَنَّ المُهَيْمِنَ شَرَّفَ الأَكْوَانَا

بِالطُّهْرِ مَنْ فِي بَطْنِهَا فَاسْتَبْشَرَتْ وَدَنَا المَخَاضُ فَأُتْرِعَتْ رِضْوَانَا

(وَرأَتْ كَمَا قَد جاءَ ما عَلِمَتْ بهِ أَنَّ المُهَيْمِنَ شَرَّفَ الأَكوانا بالطُّهْرِ مَنْ في بَطنِها) وَرأَتْ أُمُّهُ في المنامِ كما قَد جاءَ في الحديثِ الصحيحِ ما عَلِمتْ به في الرّؤيا أن المُهيمِنَ سُبْحانهُ وتعالى قَد شَرَّفَ الأَكوانَ بالطُّهْرِ الطَّاهِرِ الذي في بطنِهَا. فقَدْ قالَ الصحابةُ ﵃: يا رسولَ اللهِ، أَخبرْنا عنْ نفسِكَ. فقالَ: أنا دعوةُ أَبي إبراهيمَ وبُشْرَى عِيسى ورأَتْ أُمِّي حينَ حملتْ بي كأَنَّهُ خَرَجَ منها نُورٌ أَضاءَتْ لهُ قصورُ بُصرى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ[1]. ثُمَّ بعدَ الولادةِ رأَتْ ذلك النورَ يقظةً وسيأتي ذكرُهُ.**(فاسْتَبْشَرتْ)** فَفرِحتْ وسُرَّتْ بتلكَ الرؤيا **(وَدَنا المَخَاضُ فأُتْرِعتْ رِضْوانا)** ولمَّا جاءَ المخاضُ ودَنا وقتُ ولادتِهَا أَتاها آتٍ في

(١) رواه الحاكم والبيهقي

المنامِ وقالَ لها: قُولي: أُعيذهُ بالواحدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ، فامتلأَتْ بتلكَ الرُؤيا رضاءً وفرحاً.

وتجَلَّتِ الأَنْوَارُ مِنْ كُلِّ الجِهَا ... تِ فَوَقْتُ مِيلَادِ المُشَفَّعِ حَانَا

وَتجَلَّتِ الأَنوارُ وظَهرتْ مِنْ كلِّ الجِهاتِ واستنارَ الكونُ بنورِ ولادةِ المشفّعِ ﷺ. وكانَ ذلكَ ليلةَ الإثنينِ مِنْ شهْرِ ربيعِ الأوَّلِ بالإجماعِ لاثنتي عشرة ليلةً مَضتْ مِنهُ على المشهورِ.

وقُبَيْلَ فَجْرٍ أَبْرَزَتْ شَمْسَ الهُدَى ... ظَهَرَ الحَبِيبُ مُكَرَّمًا وَمُصَانَا

وقُبيلَ فجرِ تلكَ الليلةِ العظيمةِ المباركةِ أَبرزتْ ووَلدتْ آمنةُ الأمينةُ شَمسَ الهدى ونورَ الدُجى ﷺ وظهرَ الحبيبُ في هذا الكونِ الرحيبِ مُكَرَّماً مرفوعَ القدرِ والشرفِ محفوظاً مُصاناً. وحينَ وضَعتْهُ أُمُّهُ خرجَ مِنها نورٌ أضاءَ لها أعناقَ الإبلِ ببُصرى[1]. وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهُما أَنَّ آمنةَ قالتْ: لما فصلَ منّي ابني محمدٌ ﷺ خرجَ منهُ نورٌ أضاءَ ما بينَ المشرقِ والمغربِ[2].

---

(١) رواه ابن حبان

(٢) رواه ابن سعد وابن عساكر

وقَدْ اشتَهرَ في قريشٍ خروجُ ذلك النُّورُ الذي أَضاءَ المشرقَ والمغربَ. وإليه أشارَ عمُّهُ العبّاسُ ﵁ في قولِهِ:

وأنتَ لمَّا ولدْتَ أشرقتِ الأر ضُ وضاءتْ بنورِكَ الأفقُ

ونحنُ في ذلك الضياءُ وفي النو رِ وسبلِ الهُدى نَخترقُ

أي ونحنُ لازلنا نعيشُ في ذلك الضياءِ الذي أشرقَ في الكونِ عندَ ولادتِكَ ولا يزالُ باقٍ. وفي النُّور: أي في نورِ سرِّ الذّاتِ النبويّةِ نرتقيْ مراقيَ الهدايةِ العُلويّةِ إلى أعلى درجاتِ الصديقيةِ.

وقَد اسْتَحَبَّ العلماءُ القيامُ في قراءةِ المولدِ الشريفِ عِندَ ذكرِ ولادتِه ﷺ استحضاراً لتلكَ الساعةِ العظيمةِ المباركةِ. وذلكَ مما يزيدُ القلوبَ محبةً وتثبيتاً على الإيمانِ. لأَنَّ ما كانَ مِنْ التعظيمِ والإجلالِ لرسولِ اللهِ ﷺ في حياتِهِ لا زالَ باقياً بعدَ مماتِهِ لأَنَّهُ حيٌّ في قبرِهِ ﷺ. فكما استدلَّ العلماءُ بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ بمنعِ رفعِ الصوتِ عندَ قبرِهِ الشَّريْفِ وعندَ قراءةِ سيرتِهِ وحديثِهِ. فكذلكَ استدلوا على استحبابِ القيامِ عندَ ذكرِ ولادتِهِ ﷺ واستدلّوا على ذلك بأدلّةٍ منها: حديثُ السيّدةِ عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ ﵂ قالتْ: ما رأيتُ أَحداً أَشبَهَ سمْتا ودَلَّا برسولِ اللهِ ﷺ

في قيامِهِ وقعودِهِ مِن بنتِهِ فاطمةَ رضي الله عنها. كانتْ إذا دخلتْ على رسولِ اللهِ ﷺ قامَ إليها وقبَّلها وأَجلَسها في مجلسِهِ، وكانَ النبيُّ ﷺ إذا دخلَ عليها قامتْ مِن مجلسِها فقبَّلتْهُ وأَجلستْهُ في مجلسِها(١). فقيامُهُ لابنتِهِ فاطمةَ إذا دخلتْ عليهِ وقيامُها لهُ إجلالاً وتعظيماً دليلٌ على استحبابِ القيامِ لاهلِ الفضلِ والعلمِ والآباءِ. وعلى استحبابِهِ عندَ ذكرِ ساعةِ ولادتِهِ ﷺ تعظيماً وإجلالاً لتلكَ الساعةِ العظيمةِ المباركةِ.

قالَ الإمامُ عبدُ الوهابِ السُبكيُّ رحمهُ اللهُ أنَّ والدَهُ الإمامَ علياً السُبكيَّ حضرَ مرَّةً ختمةً بالجامعِ الأُمَويّ وحضرتْ القضاةُ وأعيانُ البلدِ بينَ يديهِ وهو جالسٌ في محرابِ الصَّحابةِ رضي الله عنه. فأنشدَ المـُنشِدُ قصيدةَ الصرصري التي مطلعُها

قليلٌ لمدحِ المُصطفى الخطُّ بالذهبِ..

فلمّا قالَ: وأنْ ينهضَ الأشرافُ عندَ سماعِهِ ..

حصلتْ للشّيخِ الإمامِ حالةٌ وقامَ واقفاً للحالِ فقامَ النّاسُ أجمعونَ وحصلتْ ساعةٌ طيبةٌ.

وُلِدَ الحَبِيبُ فَخَرَّ حَالاً سَاجِداً لِلّهِ مَنْ أَنْشَأَنَا وَبَرَانَا

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي

(وُلِدَ الحبيبُ فخرَّ حالاً ساجدًا للهِ مَنْ أنشأَنا وبَرانا) وُلدَ الحبيبُ ﷺ مُستقبِلَ القبلةِ فخَرَّ في الحالِ ساجداً للهِ الذي أَنشأَنا وبَرانا. وفي روايةٍ عنْ أُمِّهِ قالتْ: لمَّا خرجَ مِنْ بطني وجَدتُّهُ جاثيًا على ركبتيهِ ينظرُ إلى السّماءِ ثُمَّ قَبِضَ قبضةً مِنَ الأَرضِ وأهوى سَاجداً. وفي السجودِ كمالِ الخضوعِ والتذلُّلِ والعبوديّةِ للهِ سُبحانَهُ وتعالى.

وعن أنسٍ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مِنْ كَرامتي على ربي أَنّي وُلدتُ مختونًا ولم يَرَ أَحدٌ سوءتي[1].

وَرِعَايَةُ المَوْلَى تُحِيطُ بِأَحْمَدٍ فِي كُلِّ حِينٍ بَاطِنًا وَعِيَانَا.

ورعايةُ المولى سُبحانَهُ تُحيطُ بالمصطفى أَحمدَ في كلِّ ساعةٍ ولحظةٍ بحفظِهِ باطناً وظاهراً وحفظهِ مِن أَنْ يمسَّهُ سوءٌ وقد كانَ اليهودُ يريدونَ قتْلهُ فحفظهُ اللهُ منْ شرِّهم.

قَدْ أَرْضَعَتْهُ الأُمُّ ثُمَّ ثُوَيْبَةٌ وَحَلِيمَةٌ مَنْ سَعْدُهَا قَدْ بَانَا

---

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر

أَوَّلُ مَنْ أرضعتْهُ ﷺ أُمُّهُ آمنةُ الأمينةُ الطاهرةُ ثُمَّ ثويبةُ مولاةُ عمِّهِ أَبي لهبٍ ثُمَّ حليمةُ السعديّةُ التي ظهرَ سَعْدُها وبانَ، وعاشتْ معَ أُسرتِها في رغدٍ وأمانٍ ببركتِه ﷺ.

قَدْ بَشَّرَتْ ثُوَيْبَةُ سَيِّدَهَا   أَبَا لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَرْحَانَا

قدْ بشَّرتْ ثُويبةُ سيّدَها أبَا لهبٍ بولادةِ المصطفى ﷺ فأَعتقَها فرحاً بهذا المولودِ لأنَّهُ ابنُ أخيهِ المُتوفى عبدِ اللهِ.

لَمْ يَنْسَ خَالِقُنَا لَهُ فَرْحَتَهُ   بِالْمُصْطَفَى وَبَذَا الحَدِيْثُ أَتَانَا

أَنَّ العَذَابَ مُخَفَّفٌ فِي كُلِّ إِثْـ   ـنَيْنِ لِفَرْحَتِهِ بِمَنْ وَافَانَا

لمْ ينسَ خالقُنَا سُبحانَهُ فرحةَ أَبِي لهبٍ بولادَةِ المصطفَى ﷺ الذي جاءنا بالهُدى ودينِ الحقِّ أي لمْ يتركْهُ دونَ جزاءً بل جازاهُ على تلكَ الفرحةِ بتخفيفِ العذابِ عنهُ في كلِّ اثنينٍ كرامةً لحبيبِهِ ﷺ وبذلكَ أتانا الحديثُ الصحيحُ وهو عن أُمِّ حبيبةَ رضي الله عنها قالتْ: فلما ماتَ أبو لهبٍ أُرِيهُ العباسُ في

أسوءِ حالةٍ فقالَ لهُ: ماذا لقِيتَ؟ قالَ: لم ألقَ بعدَكم خيراً غيرَ أَنّي خُفِف عنّي العذابَ بعِتاقي ثويبةَ[1]. وفي روايةٍ: إنَّهُ ليُخَفَّفُ علي في يومِ الإثنينِ.

هَـذَا مَـعَ الكُفْـرِ فَكَيْـفَ بِفَرْحَـةٍ   مِـــنْ ذِي فُـــؤَادٍ امْـــتَلَا إِيْمَـــانَا

هـذَا التّخفيـفُ عـنْ أبِي لهـبٍ مـعَ كفـرهِ وعنـادِهِ. فكيـفَ بفرحـةٍ جـاءتْ مِـن صـاحبِ فـؤادٍ امـتلأَ إيمـانًا بِاللهِ ورسـولِهِ. قـالَ شيخُ القُـرَّاءِ الحـافظُ ابـنُ الجـزري رحمهُ اللهُ: فإذا كانَ أبو لهبٍ الكافرُ الّذي نزلَ القرأنُ بذمِّهِ جُوزِيَ بالتّخفيفِ وهوَ فِي النَّارِ لفَرَحِهِ ليلةَ مولدِ محمد ﷺ ، فمَا حالُ الـمُسلِمِ الموحِّدِ مِن أمَّةِ محمد ﷺ ببشْرِهِ بمولدِهِ وبذْلِ ما تصِلُ إليهِ قُدرتُهُ في محبّتِهِ لَعُمرِي إنمّا جزاؤُهُ مِن اللهِ الكريمِ أنْ يُدخِلَهُ بفضلِهِ جنَّةَ نعيمٍ. قالَ الحافظُ شمسُ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ رحمهُ اللهُ:

إِذَا كَـانَ هَـذَا كَـافِراً جَـاءَ ذَمُّـهُ   بِتبَّتْ يَدَاهُ فِـي الجَحِـيمِ مُخَلَّـدَا

أَتَى أَنَّهُ فِـي يَـوْمِ الإِثْنَـينِ دَائِمـاً   يُخَفِّـفُ عَنْـهُ لِلسُّـرُوْرِ بِأَحْمَـدَا

فَمَا الظَّنُّ بِالعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمْرُهُ   بِأَحْمَدَ مَسْـرُوْراً وَمَـاتَ مُوَحِّـدَا

---

(١) رواه البخاري

ورحمَ اللهُ القائلُ:

يَا مَولِـدَ الــمُخْتَارِ أَنْـتَ رَبِيْعُنَـا ... بِـكَ رَاحَـةُ الأَروَاحِ وَالأَجْسَـادِ

يَـا مَوْلِـداً فَـاقَ الـمَــوَالِدَ كُلَّهَـا ... شَــرَفاً وَسَــادَ بِسَــيِّدِ الأَسْــيَادِ

لاَ زَالَ نُورُكَ فِـي البَرِيَّـةِ سَـاطِعاً ... يُعْتَـادُ فِـي ذَا الشَّــهْرِ كَالأَعْيَـادِ

فِـي كُـلِّ عَـامٍ لِلقُلُـوبِ مَسَّـرَةٌ ... بِسِـمَاعِ مَـا نَرْوِيـهِ فِـي المِـيلَادِ

فَلِذَاكَ يَشْتَاقُ الـمُـحِبُّ وَيَشْتَهِي ... شَـوْقاً إِلَيْـهِ حُضُـوْرَ ذَا الــمِيْعَادِ

وَرَأَتْ حَلِيْمَـةُ مَـا رَأَتْ مِـنْ بَرَكَـا ... تِ مُحَمَّـدٍ مَـا حَـيَّرَ الأَذْهَـانَا

وعندَما أخذتْ حليمةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا محمدا ﷺ لتُرضِعَهُ وعادتْ بِهِ إلَى رَحْلها رأتْ شيئًا عجيبًا حيَّرَ العُقولَ. فمِن ذلكَ ما ذكرَهُ شيخي الناظمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقولِهِ:

دَرَّ لَـهُ الثَّـدْيُ وَقَـد كَـانَ ابنُهَـا ... يَبِيْــتُ يَبْكِــي مُسْــغباً جَيْعَـانَا

لَكِنَّــهُ لَيْلَــةَ أَنْ جَــاءَ الحَبِيــ ... ــبُ بَاتَ مَوْفُـوْرَ الرِّضَـا شَـبْعَانَا

وَدَرَّتِ النَّاقَــةُ أَلْبَــاناً وَقَــدْ ... سَمُنَـتْ دُوَيْبَتُهَـا فَكَـانَ شَـانَا

قالتْ حليمةُ ﵂: فلمَّا وضعْتهُ في حجْري أَقبلَ عليهِ ثَدياَيَ بما شَاءَ مِنَ اللّبنِ، فشربَ حتَّى رويَ وشربَ أخوهُ ضُمرَةُ حتَّى رَوِي ثمَّ نامَا، ومَا كنَّا نَنامُ مَعهُ قبلَ ذلكَ، لأنَّهُ كانَ يبيتُ يبكي مِنَ الجوعِ. ومُسغباً أي جائعاً. لكنَّهُ ليلةَ أَنْ جاءَ الحبيبُ ﷺ ورضَعَ معهُ باتَ راضياً كثيرَ الرِّضا شبعاناً.

وَفي تلكَ اللّيلةِ درَّتُ النَّاقةُ لبناً كثيراً، قالتْ حليمةُ ﵂: وقامَ زوجِي إلَى شارفي[1] فإذَا بها حافلٌ[2] فحلبَ منها وشَربْنا حتى انتهينا شَبعَا وريًّا. قالَت ﵂: ثمَّ قَدِمنا منازِلَنا ومَا أعلمُ أرضاً أَجدَبَ مِنهَا فَكانتْ غنمِي تَروحُ عليَّ شِباعا لبناً. فنحلِبُ ونَشربُ وما يحلبُ غيرُنا مِنهم قطرةَ لبنٍ. وسمنت أغنامُها فكانَ لها معَ هذا الرضيعِ المباركِ ﷺ شأنٌ عظيمٌ.

أَنْكَــــرَهُ رِفْقَتُهَـــــا وَسَـــــلَّمَتْ ... أَشْــجَارٌ أَحْجَــارٌ عَلَــى مَــوْلَانَا

(أَنكرهُ رُفقَتُها) وفي صباحِ تِلكَ الليلةِ أَخذتْ حليمةُ ﵂ محمدا ﷺ وعزمتْ على العودةِ إِلى بني سعدٍ مع صَواحبِها. قالتْ حليمةُ ﵂: ثُمَّ خرجْنا ورَكِبْتُ أتاني تلكَ وحملْتُهُ عليها مَعي، فواللهِ لقد قطعْتُ بالرَّكبِ ما يقدِرُ عليها شيءٌ مِنْ حُمُرِهِم، حتى أنَّ صَواحِبي لَيقُلْنَ لي: يا بنتَ أبي ذُؤَيبٍ ويحَكِ اربعيْ علينا

(١) شارفي: ناقتي

(٢) حافل: ممتلئ ضرعها لبنا

—أي ارفقي– أَليستْ هذهِ أتانُكِ التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقولُ لهنَّ: بلى واللهِ إنّها لَهِيَ هِـي. فـيقُلْنَ: واللهِ إنَّ لها لشـأنا، وكانـتْ حليمـةُ رضي الله عنها لجـديرةٌ.
بقولِ الحافظِ مُغَلطاي المصرِي رَحمهُ اللهُ تعالى:

أضْحتْ حليمةُ تَزدَهي بِمفاخِرَ　　مـا نالهـا فـي عَصْـرِها إثنـانِ
مِنها الكفالةُ والرَّضاعُ وصُحبةٌ　　والغايةُ القُصوى رِضـا الـرَّحمنِ

وفي بَني سَعدٍ وقعتْ حادثةُ شقِّ صدرِهِ الشَّريفِ ﷺ في السَّنةِ الرّابعةِ من عُمرِهِ ثُمَّ أَعادتْهُ إلى أُمِّهِ آمنةَ الأمينةِ الطاهرةِ.
(وسَلَّمتْ أَشْجارٌ أَحجارٌ على مَولانا) عنْ جابرِ بنِ سُمرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إِني لأَعْرِفُ حَجراً بمكةَ كانَ يُسلِّمُ عليَّ قبلَ أنْ أُبعثَ[1]. وعندَما أَرادَ اللهُ كرامتَهُ بالنّبوّةِ كانَ ﷺ إذا خرجَ لحاجةٍ أَبْعدَ حتى لا يُرى و يَذهبُ إلى الشِعابِ وبطونِ الأَودِيةِ فلا يَمُرُّ بحَجرٍ ولاشَجرٍ إلا قالَ: السّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ، فيلتفتُ يميناً و يساراً فلا يرى أحدا[2].

سُبْحَانَ مَنْ أَنْطَقَ أَشْجَاراً وَأَحْـ　　ـجَاراً تُحَيِّي المُصْطَفَى سُبْحَانَا

(١) رواه مسلم
(٢) رواه الترمذي

فَسبحانَ الّذي أَنطقَ الأشجارَ والأحجارَ تحيي المصطفى بالصلاةِ والسلامِ عليهِ تحيّةً لهُ وتَعظيماً وتَشريفاً. وأَعْلمَها بنبوّتِهِ قبلَ أَنْ يُعْلِمَ البشَرَ فتطقتْ بالصّلاةِ والسّلامِ عليهِ مُطيعةً لأمرِ ربِّها. فَسبحانَ اللهِ القادرِ على كلِّ شيءٍ.

هَذَا وَقَدْ نَشَأَ الحَبِيبُ بِسِيرَةٍ مَرْضِيَّةٍ وَمَا أَتَى عِصْيَانَا

هذا المذكورُ وقد نشأَ وشبَّ الحبيبُ ﷺ بسيرةٍ حسنةٍ مرضيّةٍ ولم يأتِ معصيةً أبداً. قالَ ﷺ: لم أَهِمَّ بشيءٍ كانتِ الجاهليَّةُ تفعلُهُ إلّا ليلتينِ كِلْتيهُما عصمنيَ اللهُ منهُمَا، قُلتُ ليلةً لصاحبي ونَحنُ نرعى الغَنَمَ أَبصِرْ لِي غنمي فأَدخُلَ مكّةَ أسمرُ بها كما يَسمرُ الفِتيانُ. قالَ: أَفعلُ. فدخلتُ حتّى جِئتُ أَوّلَ دارٍ مِن دورِ مكّةَ سَمعتُ عَزفاً وغرابيلَ ومزاميرَ لعُرسِ بعضِهم فَجلستُ أَنظرُ وضربَ اللهُ على أُذُنيَّ، واللهِ ما أَيقظني إلّا مَسُّ الشَّمسِ، ثُمَّ قلتُ لهُ ليلةً أُخرَى مِثلَ ذلكَ وأصابني مثلُ أوّلِ ليلةٍ ثُمَّ ما هممتُ بشيءٍ مِن ذلكَ(١). وأمّا الحدوُ فقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُحبُّهُ ويستمعُ لهُ روى الإمامُ البخاريُّ رحمهُ اللهُ في صحيحهِ عن سلمةَ ابنِ الأكوعِ رضي الله عنه قالَ خرجْنا معَ النبيِّ ﷺ إلى خيبرَ فسِرْنا ليلاً فقال رجلٌ مِن القومِ ياعامرُ ألا تُسمعْنا مِن هُنيهاتِكَ ـ أي أراجيزِكَ ـ وكانَ عامرٌ رجلاً شاعراً فنزلَ يحدوْ بالقومِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ مَن هذا

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم

السائقُ قالوا عامرُ ابنُ الأكوعِ قالَ يرحمُهُ اللهُ.. الحديثَ وعندَ الإمامِ ابنِ إسحاقَ رحمهُ اللهُ عن سلمةَ ابنِ الأكوعِ ﵁ أنّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لسلمةَ ابنِ الأكوعِ انزلْ يا ابنَ الأكوعِ فاحْدُ لنا مِن هُنيهاتِك.

تَرْعَاهُ عَيْنُ اللهِ مَنْ أَدَّبَهُ   أَحْسَنَ تَأْدِيْبَ النَّبِيْ إِحْسَانَا

نشأَ ﷺ ترعاهُ عنايةُ اللهِ الّذي أدَّبَهُ فأَحسنَ تَأْدِيبَهُ إِحسانًا. قالَ ﷺ: أَدَّبني ربِّي فأَحْسنَ تَأْديبي. فنشأَ على مكارمِ الأخلاقِ محفوظاً مِن معايبِ الجاهليَّةِ فكانَ لَا يحضرُ عاداتِهِم ولا مناسباتِهِم ولا يأكلُ مِن ذبائِحِهم ولا يحترِمُ أصنامَهُم ولا يُخَالطَهُم في مأْكلٍ ولا مشربٍ ﷺ.

فَنَشَا صَدُوقاً مُحْسِناً ذَا عِفَّةٍ   وَفُتُوةٍ وَأَمَانَةٍ مِعْوَانَا

ذَا هِمَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَتَوَقُّرٍ   وَمَكَارِمٍ لَا تَحْتَصِي حُسْبَانَا

دُعِيَ الأَمِيْنُ وَهُوَ فِي أَهْلِ السَّمَا   نِعْمَ الأَمِيْنُ لَهُ المُهَيْمِنُ صَانَا

فنشأَ ﷺ صدوقاً -أي كثيرُ الصِّدقِ- مُحسناً للنّاسِ عفيفاً قوياً أميناً معيناً على الحقّ ذا همّةٍ وشجاعةٍ ووَقارٍ ومكارمٍ وصِفاتٍ حسنةٍ لا تُحصى عدًّا. حتى دُعِيَ ولُقِّبَ بالصّادِقِ الأمينِ وهو في أهلِ السّماءِ كذلك يُلقّبُ بالصّادقِ الأمينِ ونعمَ الأمينُ محمد ﷺ. فقد صانَهُ وحَفظهُ المُهيمنُ سبحانَهُ

وتعالى. وفي الحديثِ فقد شبَّ رسولُ اللهِ ﷺ يحفظُهُ اللهُ ويحوطُهُ مِن أقذارِ الجاهليَّةِ ومعايِبها لما يريدُ بهِ مِن كرامتِهِ ورسالتِهِ حتّى كانَ أفضلَ قومهِ مروءةً وأَحسنَهم خُلقًا وأكرمَهم حسباً وأحسنَهم جواراً وأعظمَهم حِلماً وأصدقَهم حديثًا وأعظمَهم أمانةً وأبعدَهم مِن الفُحشِ والأخلاقِ التّي تُدَنّسُ الرّجالَ. ما رؤيَ مُلاحياً ومُمارياً أحداً حتّى سمّي في قومهِ الأمينَ ﷺ[1].

ذَهَبَــتْ بِــهِ الأُمُّ تَــزُورُ أَبَاهُ فِي طَيْبَــةَ إِذْ فِيهَــا الحِمَــامُ كَــانَا

وَالمُصْـطَفَى فِي بَطْنِهَـا وَقَـدْ أَتَـى عَلَيْــهِ سِــتٌّ مِــنْ سِــنِيهِ الآنَا

وَقَـدْ أَتَاهَـا المَـوْتُ حِـيْنَ رُجُوعِهَـا فَحَبَــاهُ عَبْــدُ المُطَلِّــبِ حَنَــانَا

(ذهبتْ بهِ الأُمُّ تزورُ أباهُ في طيبةَ) ذهبتْ بهِ أمُّهُ آمنةُ تزورُ معهُ قبرَ أَبيهِ في طيبةَ المدينةِ وتزورُ بهِ أخوالَ جدِّهِ عبدِ المطَّلبِ وهم بنو عَدِي ابنِ النّجارِ. **(إذْ فيهـا الحِمـامُ كـانا)** إذْ في المدينةِ كـانَ مـوتُ عبـدِ اللهِ الشّـريفِ الطّـاهرِ أَبِ الحبيبِ ﷺ **(والمصطفى في بطْنِها)** ولـمَّا مـاتَ أبوهُ عبدُ اللهِ كان المصطفى ﷺ حملاً في بطنِ أُمِّهِ. **(وقد أتى عليهِ ستٌّ مِن سِنيهِ الآنا)** وقد أتى عليهِ

(١) رواه البيهقي

مِن عُمرِهِ الآنَ في هذه الزيّارةِ ستُّ سِنينَ وفي روايةٍ خمسُ سنينَ. **(وقد أتاها الموتُ حينَ رُجوعِها)** وقد أتى الموتُ أمَّهُ الأمينةَ الطاهرةَ بالأَبواءِ – موضِعٍ بينَ مكّةَ و المدينةَ –وهيَ راجعةٌ إلى مكّةَ. وقد ماتَ أبوهُ عبدُ اللهِ في السّنةِ الثّامنةَ عشرَ مِن عمرِهِ وماتَتْ أمُّهُ آمنةُ فِي العِشرينَ مِن عمرِهَا. مَاتَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهما مُوحِدانِ اللهَ على دينِ أَبيهِم إبراهيمَ، وإِن لم يكونَا يعلمانِ كيفيّتَهُ. ومثلَهُما قِسُّ بنُ ساعدةَ الّذي كانَ يقومُ فِي سوقِ عُكاظَ ويقولُ: أيُّها النَّاسُ إنّ للهِ دينٌ خيرٌ مِن دِينِكُم، وإنّ للهِ نبيًّا قد حانَ حينُهُ واظلَّكم. وكذا زيدُ بنُ عمرٍو بنُ نُفيلٍ كمَا روى البُخاريُّ في صحيحِهِ أنَّهُ خرجَ يلتمسُ دينَ إبراهيمَ فأخبَرَهُ آخِرُ الأحبارِ إِنَّهُ لم يبقَ أحدٌ عليهِ وأنّهُ قَد أظلَّ زمانُ خروجِ النَّبِيّ الأميّ، فرجعَ واجتمعَ بِالنَّبي ﷺ –أي قبلَ مبعثهِ–. وكانَ يقولُ: اللّهمَّ إنّي أعبدُكَ وحدكَ وأُدينُ لَكَ لدينِ إبراهيمَ ولا أعرفُ كيفَ أعبدُكَ[١].

وما روتْهُ أمُّ أَيمنَ عَن أمِّ النَّبِي ﷺ عندَ موتِها أمرٌ عظيمٌ يثبتُ أنّها ماتت على دينِ إبراهيمَ على نبيّنا وعليهِ الصلاةُ والسلامُ. فقد رَوتْ أُمُّ سماعةَ بِنتُ أبي دُهم عَن أمِّها –أمِّ أيمنَ– قالتْ: شَهدْتُ آمنةَ بنتَ وهبٍ في علَّتِها التّي

---

(١) رواه البخاري

مَاتتْ فِيها ومحمد ﷺ غلامٌ يَفعٌ لهُ خمسُ سنينَ عندَ رَأسِها فنظرَتْ إلى وجهِهِ ثُمَّ قالتْ:

بـارِكَ فيـكَ اللّـــهُ مِـن غُـلامِ   يا ابنَ الّذي مِن حومةِ الحِمامِ

نجـا بعـونِ الملِـكِ المِنعـامِ   فَوُدي غَداةَ الضّـربِ بِالسّـهامِ

بمِائـــةٍ مِـــن إبـــلٍ سَـــوامِ   إِن صحَّ ما أَبصرتُ فِي منامِي

فأَنـتَ مبعـوثٌ إِلَـى الأنـامِ   مِن عندِ ذِي الجلالِ والإِكـرامِ

تُبعَثُ في الحِلِ وفـي الحَـرامِ   تُبعَـثُ بـالتَّحقيقِ والإسـلامِ

ديـــنُ أبيـــكَ البَـــرَّ إبراهـــامِ   تُبعَثُ بـالتخفيفِ والإسـلامِ

أنْ لا تُواليهَــا مــعَ الأقــوامِ   فاللّـــهُ أنْهَـاكَ عـنِ الأَصْـنامِ

ثُم قالتْ: كُلُّ حيٍّ ميتٌ وكُلُّ جديدٍ بالٍ وكُلُّ كبيرٍ يَفْنى وأنا ميّتةٌ وذِكْريْ باقٍ وقد تركْتُ خيراً ووُلِدْتُ طُهْراً، ثُم ماتتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(١). وهلْ التوحيدُ شيءٌ غيرُ هذا.

وبعـدَ مـوتِ الأبـوينِ الشَّـريفينِ وفي آخِـرِ حيـاةِ الحبيـبِ ﷺ أحيـا اللهُ أبَويـهِ لِيشْهَدا لـهُ بالرّسـالةِ ويتشرّفا بالـدخولِ في دينـهِ ويُحشَرا معَهُ يومَ القيامةِ. فقد

(١) رواه أبو نعيم

ذكرَ السُّهَيلي رحمهُ اللهُ في الرَّوضِ الأُنفِ إنَّ مِن خَصائصَهُ ﷺ أَنَّ اللهَ تعالى أحيا لهُ أبَويهِ فآمَنا بهِ. وذكَرَهُ الإمامُ السيوطي رحمهُ اللهُ في نشْرِ العَلَمَينِ. وقد صحَّ ذلكَ عندَ أهلِ الكشْفِ. وليسَ هذا بكثيرٍ على الحبيبِ ﷺ ولا مُستَحيلُ على اللهِ. وقد جعلَ سُبحانَهُ إحياءَ الموتى مِن مُعجزاتِ النَّبيِّ عيسى على نبيّنا وعليهِ الصّلاةُ والسّلامُ.

وأما قولُ المتطاولينَ المبغضينَ لأبويّ الحبيبِ ﷺ أنَّ الإيمانَ بعدَ الإِحياءِ لا ينفعُ فقولٌ مردودٌ بأدلَّةٍ مِنها :

❖ الأوَّلُ : إنَّ اللهَ أحيا قتيلَ بني إِسرائيلَ بعدَ ذبحِ البَقرةِ وضرْبهِ ببعضِها وجعلَ إخبارهِ بقاتلهِ قولاً جازماً وحجةً قاطعةً على قاتِلهِ.

❖ الثاني: إنَّ اللهَ اختصَّ نبيَّهُ بخصائِصَ ليستْ لغيرِهِ منها؛ الحديثُ الذي رواهُ البخاريُّ وسبقَ ذِكْرُهُ في التَّخفيفِ عن أبي لهبٍ لإِعتاقِهِ ثُويبَةَ فرحاً بمولِدِ الحبيبِ ﷺ. فتلكَ كانتْ كرامةً للحبيبِ ﷺ لأنَّ أبا لهَبٍ فرِحَ بمولدِهِ. وليسَ ثواباً لأبي لهبٍ على الإِعتاقِ لأنَّ الكافرَ لا يُقبَلُ مِنهُ عملٌ ولا يُثابُ عليهِ. لقولِهِ تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوْا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾.

(فحباهُ عبدُ المُطلبِ حنانا) وبعدَ وفاةِ أُمّهِ ﷺ عادتْ بهِ أُمُّ أيمنَ بركةُ الحبشيةُ إلى مكّةَ فضّمهُ إليهِ جَدُّهُ عبد المطَّلبِ ورقَّ عليهِ رِقةً لم يرقَّها على أحدٍ أولادِهِ. وقد كانَ يُوضَعُ لعبدِ المطَّلبِ فراشٌ في ظلِّ الكعبةِ وكانَ لا يجلِسُ

عليـهِ أحـدٌ مِـن بنيـهِ إجـلالاً لـهُ، وكـانَ الحبيـبُ ﷺ يأتي حـتى يجلـسَ عليـهِ فيذهبُ أعمامُهُ يؤَخّرونَهُ فيقولُ جدُهُ: دَعوا ابني، فيمسحُ على ظهرِهِ ويقولُ: إنَّ لابني هذا لشأنٌ[1].

سَــنَتَيْنِ وَافَــاهُ الحِمَــامُ فَضَــمَّهُ   عَــمٌّ مَــلَا العَطْــفُ عَلَيْــهِ جَنَــانَا

كفِلَهُ جَدُهُ عبدُ المطَّلبِ سنتينِ وبعدَها تُوفيَ جدُهُ وعمرُهُ ﷺ ثمانُ سنواتٍ. وقبلَ وفاتِهِ أوصى ابنَهُ أبا طالبٍ بحفظِ محمد ﷺ والقيامِ عليهِ لأنَّهُ شقيقُ أبيهِ عبدِ اللهِ. فضَّمهُ أبو طالبٍ فملأَ قلبَهُ عطفًا ومحبَّةً لمحمدٍ ﷺ ، وكانَ يُحبهُ محبةً شديدةً أكثرَ مِن أولادِهِ. ولمّا أصابَ أهلَ مكةَ قحطٌ شديدٌ قالوا لأبي طالبٍ استسقِ لنا. قالوا: فخرجَ أبو طالبٍ ومعهُ غلامٌ كأنَّهُ شمسُ دُجُنَّةٍ تجلتْ عنهُ سحابةٌ قتْماءُ ﷺ فأخذَهُ أبو طالبٍ وألصَقهُ بالكعبةِ وما في السماءِ قزعةٌ فأقبلَ السَّحابُ مِن هاهُنا وهاهُنا وأغدقَ واغدودقَ وانفجرَ لهُ الوادي وأخصبَ النّادي والبادي. وفي ذلكَ يقولُ أبو طالبٍ:

وأبيضُ يُستسقى الغَمامُ بوجهِهِ   ثَمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامـلِ

يَلوذُ بِهِ الهُـلّاكُ مِـن آلِ هاشـمٍ   فَهمْ عندَهُ في نعمةٍ وفواضلِ [1]

---

(١) رواه ابن إسحاق

خَطَبَتْهُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فِي الخَمْسِ وَالْـ عِشْـرِينَ حَـازَتْ بِالْمُشَـفَّعِ شَـانَا
قَـدْ حَقَّـقَ المَـوْلَى لَهَـا آمَالَهَـا نَالَـتْ سَـلامَاً عَالِيـاً وَمَكَـانَا

خرجَ ﷺ إلى الشّامِ بتجارةٍ للسّيدةِ خديجةَ الكُبرى ﵂ معَ غُلامِها ميسرةَ، فلمّا رأى ميسرةُ مِن شأنِ محمد ﷺ ما يُبهرُ العقولَ أخبرَ سيّدتَهُ خديجةُ ﵂ بذلكَ. ولما رأتْ مِن الأرباحِ الكبيرةِ التي رجعَ بِها مِن الشّامِ فرغِبتْ في الزّواجِ منهُ ﷺ فخطبتْهُ لنفسِها وقد بلغَ خمساً وعشرينَ سنةً وكانَ عمرُها أربعينَ سنةً. ثُم تزوّجَها ﷺ وكانَ الذي زوّجَها مِن الحبيبِ ﷺ عمُّها عمُرو بنُ أسدٍ.

فـ(**حازتْ بالمُشفّعِ شانا**) فحازتْ بهذا الزوجِ العظيمِ الشفيعِ المشفّعِ ﷺ وسلم شأناً عظيماً ومكاناً عالياً في الدّنيا والآخرةِ.

(**قد حقّقَ المولى لها آمالها**) قد حقّقَ المولى سبحانهُ لها آمالَها بالزّواجِ مِن خيرِ الخلقِ ﷺ وبالفوزِ بخيرِي الدنيا والآخرةِ وبالذّريةِ المباركةِ .فهي أمُّ جميعِ أولادِهِ وهم القاسمُ وعبدُ اللهِ الطّاهرِ الطّيّبِ ورقيّةُ وزينبُ
وأُمُّ كُلثومٍ وفاطمةُ إلا إبراهيمَ فأُمّهُ ماريةُ القِبطيّةُ.

---

(١) من حديث طويل رواه ابن عساكر

(نالتْ سلاماً عالياً ومكانا) نالتْ سلاماً عالياً مِن ربِّها عزَّ وجلَّ ومِن جبريلَ. ومكاناً رافعاً عندَ الحبيبِ ﷺ وعندَ اللهِ تعالى. فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قالَ: أتاني جبريلُ فقالَ: هذِهِ خديجةُ فإذا أتتْكَ فاقرأْ عليها السّلامَ مِن ربِّها ومنّي وبشّرْها ببَيتٍ في الجنّةِ مِن قَصَبٍ لا نَصبَ فيهِ ولا صخبَ[١]. زاد الطبراني أنّها قالتْ: هو السّلامُ ومنهُ السّلامُ وعلى جبريلَ السّلامُ[٢].

وَحَلَّ مُشْكِلَةً لِوَضْعِ الحَجَرِ الْـ أَسْوَدِ فِي الكَعْبَةِ حَيْثُ أَبَانَا

عَنْ سِعَةِ العَقْلِ وَوَقَّادِ الحِجَا سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَهُ وَأَعَانَا

ولمّا بلغَ مِن عُمرِهِ خمساً وثلاثينَ سنةً حلَّ ﷺ الخلافَ بينَ قبائلِ قريشٍ لمّا تنازعوا بعدَ بنِائِهم الكعبةَ أيّهم يضعُ الحجرَ الأسودَ في موضعِهِ وقد كادوا يَقتتِلونَ على ذلكَ ثُم اتفقوا على أنْ يُحكّموا بينَهم أوّلَ داخلٍ عليهم مِن بابِ المسجدِ، فكانَ ﷺ أولَ داخلٍ. فقالوا هذا محمد هذا الصّادقُ الأمينُ رضينا بِهِ حكماً. فبسطَ ﷺ رداءَهُ ووضعَ الحجرَ فيهِ وأمرَ أربعةً مِن رؤساءِ القبائلِ الأربعِ أنْ يأخذَ كلُّ واحدٍ برُبعٍ مِن أرباعِ الرِّداءِ، فرفعوهُ إلى موضعِهِ فتناولَهُ

---

(١) رواه البخاري. القصب: لؤلؤ مجوف. النصب: التعب. الصخب: الصراخ.

(٢) وقد تزوج ﷺ ثلاث عشرة زوجة، اثنتان فارقهما قبل الدخول واثنتان توفيتا في حياته، وتسع توفين بعد وفاته رضي الله عنهن.

ﷺ بيدِهِ الشّريفةِ فوضعَهُ في موضعِهِ وأنْهى الخلافَ. وكانتْ هذهِ كرامةً لَهُ ﷺ بأنْ وضعَهُ بيدِهِ الشّريفةِ. وكانَ هذا الفعلُ مِنهُ ﷺ صادراً عن سعةِ العقْلِ وتوقّدِ الذّكاءِ ، فسُبحانَ الذي علّمَه وأعانهُ ووفّقهُ.

وَأَتَاهُ جِبْرِيـــلُ بِـــوَحْيِ اللهِ فِي غَـــارِ حِـــرَاءٍ يَعْبُـــدُ الـــرَّحْمَٰنَ

وَضَـــمَّهُ الـــثَّلَاثَ ثُمَّ أَرْسَـــلَهُ اقْـــرَأْ وَرَبُّـــكَ عَلَّـــمَ الإِنْسَـــانَا

أوّلُ ابتداءِ الوحيِّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ الرؤيا الصالحةُ. فكانَ لا يرى رؤيا إلا جاءتْ كفلقِ الصُّبحِ، ثُم حُبِبَ إليهِ الخلاءُ وكانَ يخلو بغارِ حراءَ فيتحنّثُ فيهِ -أي يتعبدُ- الليالي ذاتَ العددِ، ثُم يرجعُ إلى السّيدةِ خديجةَ رضي الله عنها فيتزوّدُ لمثْلِها حتى جاءَهُ جبريلُ وهو في الغارِ فقالَ: اقرأْ. قالَ: ما أنا بقارئٍ. قالَ: فأخذني فغطّني -أي حبسَ نفَسي- حتى بلغَ منّي -الجَهدَ أي المشقّةَ- ثُم أرسلَني. فعلَ ذلكَ ثلاثَ مراتٍ ثُم قالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِىْ خَلَقَ ﴾ إلى ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [١].

فَـــدَعَا ثَـــلَاثاً فِي خَفَـــا فَـــأَتَاهُ أَنْ اصْـــدَعْ بِمَـــا تُـــؤْمَرْ بِـــهِ إِعْـــلَانَا

---

(١) رواه البخاري

(فدعا ثلاثاً في خفا) وتتابعَ الوحيُ على الحبيبِ ﷺ ونزلَ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ فشمّرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن ساقِ الاجتهادِ وقامَ يدعو إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سراً. وأوّلُ منْ آمنَ بهِ السّيدةُ خديجةُ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ وزيدُ وأبو بكرٍ ﵃ وغيرُهم. فدعا إلى اللهِ ثلاثَ سنواتٍ سِرّاً.

(فأتاهُ أنْ اْصدعْ بما تؤمرْ بهِ إعلانا) فأتاهُ بعدَ الثّلاثِ السّنواتِ قولُهُ تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ ﴾، فامتثلَ أمرَ ربِهِ وأظهرَ الدعوةَ إلى اللهِ علناً. فدخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ حتى فشى ذِكرُ الإسلامِ في مكةَ المكرمةَ.

كَثُرَ الأَذَى وَهُوَ الصَّبُورُ لِرَبِّهِ وَهُوَ الشَّكُورُ وَكَانَ لَا يَتَوَانَى

ولمّا جهرَ بالدعوةِ وعابَ آلهتَهم وسفّهَ أحلامَهم اشتدَّ ذلكَ عليهِم وأجمعوا الشّرَ لهُ ﷺ فصانَهُ اللهُ بعمّهِ أبي طالبٍ لمكانتِهِ في قومِهِ واشتّدَ أذى المشركينَ على مَن آمنَ وعذّبوهم بأشدِّ أنواعِ العذابِ فصبروا. وصبرَ رسولُ اللهِ ﷺ فهو الصّبورُ صيغةُ مُبالغةٍ أي كثيرُ الصّبرِ لربّهِ. وهو الشّكورُ أي كثيرُ الشكرِ للهِ. وكانَ لا يتهاونُ في أمرِ الدعوةِ فكانَ يدعو ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً. ولمّا اشتدَّ الأذى بالمسلمينَ أمرَهُم ﷺ بالهجرةِ إلى الحبشةِ. فهاجرَ سيّدُنا عثمانُ بنُ

عفّانَ وزوجتُهُ رقيّةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ وجماعةٌ مِن الصحابةِ وذلكَ في السنةِ الخامسةِ مِن مبعثِهِ، ثُم تبعَهم جعفرُ بنُ أبي طالبٍ في جماعةٍ مِن الصحابةِ رضي الله عنهم. فلمّا وصلوا الحبشةَ أكرمَهم النجاشيُّ وأحسنَ جوارَهم.

مَاتَتْ خَدِيجَةُ وَأَبُو طَالِبٍ فِي الْـ خَمْسِينَ فَاشْتَدَّ الأَذَاءُ فُنُونَا

وفي السنةِ السابعةِ مِن مبعثِهِ ﷺ اجتمعتْ قريشٌ وتعاهدوا على قطيعةِ بني هاشمٍ وبني المطلبِ، فحاصرُوهم في شِعبِ أبي طالبٍ مدةَ ثلاثَ سنينَ، ثُم خرجوا مِن الشعبِ في السنةِ التاسعةِ بعدَ أنْ أكلتْ الأرضةُ صحيفةَ المقاطعةِ الظالمةَ التي عُلّقتْ وسطُ الكعبةِ. وفي السنةِ العاشرةِ ماتَ أبو طالبٍ ثُم السيدةُ خديجةُ رضي الله عنها وذلكَ في الخمسينَ مِن عُمرِهِ ﷺ. فاشتدَّ الأذى ونالتْ قريشٌ مِن النبيِّ ﷺ مِن الأذى ما لم تنلْهُ في حياةِ عمّهِ أبي طالبٍ وتفنّنوافي تعذيبِهِ بأنواعِ العذابِ.

وَأَتَى ثَقِيفاً دَاعِياً فَرَمُوهُ بِالْـ أَحْجَارِ بَلْ أَغْرَوْا بِهِ الصِّبْيَانَا

ثُم خرجَ ﷺ إلى الطائفِ ومعهُ زيدُ بنُ حارثةَ وذلكَ في شوّالَ سنةَ عشرٍ مِن البعثةِ ليلتمسَ مِن ثقيفَ النصرَ، فكلّمَ ساداتِهم ودعاهم إلى نصرِهِ والقيامِ معهُ

على مَـن خالفَـهُ فـردّوا عليـهِ ردّاً قبيحـاً وأغـرَوا بِـهِ سُـفهاءَهم فجعلـوا يَرمونَـهُ بالحجارةِ حتى أدمَوا قدميهِ الشريفتينِ وزيدُ ﵁ يَقيهِ بنفسِهِ.

مَلَكُ الجِبَالِ أَتَى فَقَالَ أَطْبِقُهَا فَقَالَ لَا بَلْ أَرْتَجِي العُقْبَانَا

فرجعَ عنْهم يريدُ مكّةَ، فلمّا وصلَ قرنَ الثعالبِ -قُربَ مكّةَ- ناداهُ جبريلُ وقالَ: إنَّ اللهَ قد سمعَ قولَ قومِكَ وقد بعثَ إليكَ ملَكَ الجبالِ لتأمُرْهُ بما شئتَ. فناداهُ ملَكَ الجبالُ وسلّمَ عليهِ وقالَ: إنْ شئتَ أنْ أطبقَ عليهم الأخشبينِ[1]. فقالَ الرؤوفُ الرحيمُ ﷺ: بل أرجو أنْ يُخرجَ اللهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ بِهِ شيئًا[2].

أَسْرَى بِهِ المَوْلَى وَصَلَّى خَلْفَهُ الرُّسْلُ وَشَاهَدَ بَرْزَخاً وَجِنَانَا

ثُم أسرى بِهِ المولى بجسدِهِ مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى راكباً على البُراقِ بصحبةِ جبريلَ عليهِ السلامُ وذلكَ في السابعِ والعشرينَ مِن شهرِ رجبَ سنةَ عشرٍ مِن الهجرةِ. وصلى بالأنبياءِ إماماً في بيتِ المقدسِ. لأنَّهم عليهمُ

(١) الأخشبان: جبلان بمكة وهما جبل أبي قبيس ومقابله جبل قعيقعان. ويظن بعض الناس أن الجبلين بالطائف كون جبريل وملك الجبال نزلا بعد عودته منها ليس صحيحا.

(٢) من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂. رواه البخاري

الصلاةُ والسلامُ أحياءٌ في قبورِهم حياةً برزخيةً. وفي أثناءِ رحلتِهِ إلى بيتِ المقدسِ أطلعَهُ اللهُ على أهلِ البرزخِ وعلى أهلِ الجنّةِ وأهلِ النارِ. ومرَّ على قبرِ موسى على نبيّنا وعليهِ الصلاةُ والسلامُ وهو قائمٌ يُصلى في قبرِهِ(١).

فائدةٌ:الحياةُ ثلاثُ مراحلَ : الحياةُ الدنيا مِن الولادةِ إلى الموتِ و الحياةُ البرزخيةُ مِن المماتِ إلى الحشرِ. والأنبياءُ وكذا الصالحونَ يعبدونَ اللهَ في البرزخِ وينفعُ اللهُ بهم أهلَ الدنيا كما نفعَ أمّةَ النبيّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ بموسى عليهِ الصلاةُ والسلامُ بتخفيفِ الصلاةِ مِن خمسينَ في اليومِ والليلةِ إلى خمسٍ. والحياةُ الأخرويةُ وتبدأُ مِن يومِ الحشرِ إلى مالا نهايةَ.وفي هذا ردٌّ على الخوارجِ الذين يكفرونَ المسلمينَ بتوسلِهم واستغاثتِهم باهلِ البرزخِ مِن الأنبياءِ والصالحينَ معَ إقرارِهم بالتوسّلِ والإستغاثةِ بهم في حياتِهم الدنيا وفي الآخرةِ.وينسبونَ النفعَ والضرَّإليهم إستقلالاً بحجّةِ إنّهم أحياءٌ ينفعونَ ويضرّونَ . وبهذا هم يُثبتونَ حقيقةَ النفعَ والضرَّ لغيرِ اللهِ . وتُردُحجّتُهم الباطلةُ كذلك بأنَّ أهلَ البرازخِ أحياءٌ وقد ثبتَ ذلكَ بالنصوصِ الشرعيةِ الكثيرةِ . منها احاديثُ الإسرَى والمعراجِ التي أثبتتْ حياةَ الأنبياءِ والانتفاعَ بهم. ومنها قولُه تعالى في شأن حبيبِ النجارِ بعدَ أنْ قُتلَ ودُفنَ ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ

---

(١) رواه مسلم

قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ٢٧﴾. وتُردُّ هذهِ الحجةُ الباطلةُ كذلكَ بأنَّ الأنبياءَ والصالحينَ في مراحلِ الحياةِ الثلاثِ هم وسيلةُ العبادِ عندَ اللهِ لجاهِهم ومنزلتِهم الرفيعةِ عندهُ سبحانَهُ فلا فرقَ بينَ الحياةِ الدنيا والحياةِ البرزخيّةِ والحياةِ الآخرةِ عندَ أهلِ السّنةِ والجماعةِ لأنَّ حقيقةَ النفعِ والضرِ هي مِن اللهِ وحدهُ. وجاهُ الأنبياءِ والصالحينَ لايزولُ ولا يفنى بالموتِ .

عَرَجَ الحَبِيبُ إِلَى السَّمَوَاتِ العُلَى وَالعَرْشُ وَالكُرْسِي رَأَى مَوْلَانَا

ثُم عرجَ ﷺ في تلكَ الليلةِ مِن بيتِ المقدسِ إلى السمواتِ السبعِ ورأى بها الأنبياءَ في منازلِهم ورحبوا بِهِ ودعوا لَه بخيرٍ. ثُم عرجَ إلى سدرةِ المُنتهى وهناكَ فُرضتْ الصلواتْ الخمسُ. ورأى ﷺ العرشَ والكرسيَّ، ورأى مولانا تباركَ وتعالى مِن غيرِ كيفٍ ولا حصرٍ. فهو تباركَ وتعالى لا تُحيطُ بِهِ الأبصارُ ولا تحويهُ الأقطارُ، قالَ تعالى: ﴿لَا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَارُ﴾.

وفي السنةِ الثانيةَ عشرَ مِن البعثةِ وقعتْ بيعةُ العقبةِ الأولى معَ الأنصارِ وفي الثالثةَ عشرَ وقعتْ البيعةُ الثانيةُ.

وَالإِذْنُ بِالهِجْرَةِ جَاءَ لِيَثْرِبٍ فِيهِ ازْدَهَى البَلَدُ الكَرِيمُ وَزَانَا

وبعدَ بيعةِ العقبةِ الثانيةِ جاءَ الإذنُ مِن اللهِ لحبيبِهِ ﷺ بالهجرةِ إلى المدينةِ المنوّرةِ، فهاجرَ قبلَهُ بعضُ أصحابِهِ ثُم هاجرَ هو وأبو بكرٍ وأقاما بغارِ ثورٍ ثلاثةَ أيامٍ، وخرجتْ قريشٌ في طلبِهِ فأعمى اللهُ بصرَهم. ثُم واصلَ ﷺ المسيرَ إلى المدينةِ معَ صاحبِهِ أبي بكرٍ رضي الله عنه ووصلَ المدينةَ يومَ الإثنينِ الثاني عشرَ مِن ربيعِ الأوّلِ على رأسِ ثلاثَ عشرَ سنةً مِن البعثةِ. وافتخرتْ بِهِ البلدُ الكريمُ وأشرقَ بنورِهِ كلُّ شيءٍ فيها، ولبستْ المدينةُ حُلَّةَ والوقارِ واكتملَ حُسنُها وجمالُها وفضلُها. وبنا فيها ﷺ مسجدَهُ المبارَكَ، وآخى بينَ المهاجرينَ والأنصارِ.

فَأَقَامَ عَشْراً دَاعِياً وَمُجَاهِداً وَصَحَابُهُ كَانُوا لَهُ أَعْوَانَا

(وأقامَ عشرًا داعيًا ومجاهداً) وأقامَ ﷺ بالمدينةِ عشرَ سنينَ يدعو إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ليلاً ونهاراً ومجاهداً في سبيلِ اللهِ بعدَ أنْ جاءَهُ الإذنُ بالجهادِ. فغزا الغزواتِ وبعثَ السرايا حتى رفعَ رايةَ الإسلامِ ونشرَ الدينَ ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً.

(وصحابُهُ كانوا لهُ أعوانا) وصحابتُهُ ﷺ كانوا لهُ أعواناً في الدعوةِ والجهادِ. لأنَّ اللهَ اشترى مِن المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهم فباعوها وبذلوها في سبيلِ اللهِ

ونُصرْةِ حبيبهِ ﷺ ، فجاءَ القرآنُ الكريمُ بتزكيتِهم ومدحِهم في مواضعَ كثيرةٍ منها قولُهُ تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوْا اللهَ عَلَيْهِ ﴾.

قالَ الإمامُ البوصيريُّ رضي الله عنه:

هُمُ الجبالُ فسلْ عنْهم مصادمَهم ماذا رأى منْهم في كلِّ مُصطدمِ

لاَ يَرْفَعُونَ إِذَا أَتَى أَصْوَاتَهُم بَلْ لَا يُحِدُّونَ البَصَرْ إِمْعَانَا

قَدْراً وَتَعْظِيماً لِشَأْنِ مُحَمَّدٍ إِذْ قَدْ تَلَوْا فِي فَضْلِهِ قُرْآنَا

(**لا يرفعونَ إذا أتى أصواتَهم**) لا يرفعونَ الصحابةُ الكرامُ أصواتَهم إذا أتاهم ﷺ تعظيماً لهُ. وقد جاءَهم النهيُ في كتابِ اللهِ عن رفعِ الصوتِ بحضرتِهِ أو الجهرِ بهِ كما يُخاطبُ بعضُهم بعضاً وأنَّ رفعَهُ أو الجهرَ بِهِ في حضرتِهِ ﷺ محبطٌ لجميعِ الأعمالِ الصالحةِ. وفي ذلكَ النهيِ غايةُ التعظيمِ والإجلالِ لحبيبِهِ ﷺ. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾

(**بلْ لا يُحدونَ البصرْ إمعاناً قدرًا وتعظيمًا لشأنِ محمد**) بلْ مِن تعظيمِ الصحابةِ رضي الله عنهم للنبيِّ ﷺ أنَّهم لا يبالغونَ في النظرِ بأبصارِهم إلى وجهِهِ الكريمِ بلْ يغضونَها تعظيماً لشأنِهِ ﷺ.

وفي تعظيمِهم للنبيِّ ﷺ دليلٌ على كمالِ إيمانِهم وكمالِ محبّتِهم للهِ ورسولِهِ.

وفي صُلحِ الحديبيةِ يروي عروةُ بنُ مسعودٍ مشهداً إيمانياً مِن شاهدِ تعظيمِهم للنبيِّ ﷺ وذلكَ عندَما أتاهُ في الحديبيةِ لأجلِ الصلحِ، فلمّا عادَ إلى قريشٍ بعدَ حديثهِ معَ النبيِّ ﷺ حولَ الصلحِ قالَ: أي قومِ واللهِ لقد وفدْتُ على الملوكِ ووفدْتُ على كِسرى وقَيصرَ والنجاشيّ فما رأيتُ ملِكًا يُعظّمُهُ أصحابُهُ كما يُعظّمُ أصحابُ محمّدٍ محمّداً. واللهِ ما تنخَّمَ نخامةً إلا وقعتْ في كفِّ رجُلٍ منْهم فدَلكَ بها وجْهَهُ وجِلدَهُ، وإذا أمرَهُمْ أمراً ابْتدَروا أمْرَهُ، وإذا تَوضّأَ كادُوا يَقْتتِلونَ على وضوئِهِ، وإذا تكلَّمَ خَفَضُوا أصواتَهُم عندَهُ وما يُحدُّونَ النظَرَ إليهِ تعظيمًا لهُ –الحديث[١].

(إذْ قد تَلوا في فضلِهِ قُرآنا) إذ قد تلا الصحابةُ رضي الله عنهم في فضلِ النبيِّ ﷺ قرآناً فعرفوا فضلَهُ وقدْرَهُ. وتَلوا قرآناً كذلكَ في وجوبِ تعظيمِهِ ونُصرَتِهِ ومحبّتِهِ والصلاةِ والسلامِ عليهِ. وهو أحقُّ بذلكَ. فهو الذي أنقذَنا مِن النارِ وأخرجَنا مِن الظلماتِ إلى النورِ. وقد سبقَ ذِكرُ بعضِ الأياتِ في هذا الشأنِ.

(١) رواه البخاري

قالَ الإمامُ تقيُّ الدينِ السُبُكيُّ ﵁: وحرمتُهُ ﷺ بعدَ موتِهِ وتوقيرُهُ وتعظيمُهُ لازمٌ كما كانَ في حياتِهِ، وذلكَ عندَ ذِكرِهِ وذِكرِ حديثِهِ وسنَّتِهِ وسماعِ اسمِهِ وسيرتِهِ ومعاملةِ آلِهِ وعِترَتِهِ(١).

وكانَ صَفوانُ بنُ سُلَيمٍ رحمهُ اللهُ إذا ذكرَ النبيَّ ﷺ بكى فلا يَزالُ يبكي حتى يقومَ الناسُ عنهُ. قالَ فيهِ الإمامُ أحمدُ: هو مِن الثقاتِ يُستشفى بحديثِهِ ويَنزلُ المطرُ مِن السماءِ بذِكرِهِ(٢).

وَلَقَدْ رَأَوْا مِنْ خُلْقِهِ عَجَباً وَكَمْ   قَدْ شَاهَدُوا مَا حَيَّرَ الأَذْهَانَا

كَرَمًا وَعَفْواً وَالسَّخَا وَتَوَاضُعاً   وَالجِذْعُ حَنَّ مَحَبَّةً وَحَنَانَا

(**ولقد رأَوا مِن خُلقِهِ عجباً**) ولقد رأى الصحابةُ ﵃ عجباً مِن أخلاقِ النبيِّ الكريمِ ﷺ. ومهما ألّفَ المؤلفونَ في ذلكَ فلنْ يُحصوهُ عددًا. وقد وصفتْهُ السيّدةُ عائشةُ ﵂ بقولِها: كانَ خُلُقهُ القرآنَ(٣). وقالَ ﷺ: بُعثتْ لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ(٤).

---

(١) السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ للإمام تقي الدين السبكي.

(٢) سير أعلام النبلاء

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه مالك في الموطأ

(وكم شاهدُوا ما حيَّرَ الأذهانا كرماً وعفوا والسخا وتواضعاً) وكم قد شاهدَ الصحابةُ ما حيَّرَ العقولَ مِن كرمِهِ وعفوِهِ وسخائِهِ وتواضعِهِ. قالَ العلّامةُ القُسطلّاني رحمهُ اللهُ تعالى: وحسبُكَ صبرُهُ وعفوُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عن الكافرينَ المحاربينَ لهُ. وقد كُسرتْ رباعيّتُهُ وشُجَّ وجهُهُ يومَ أُحدٍ حتى صارَ الدّمُ يسيلُ على وجهِهِ الشريفِ حتى شقَّ ذلكَ على أصحابِهِ وقالوا: لو دَعوتَ عليهِم. فقالَ: إنّي لم أُبعثْ لعّاناً ولكنّي بُعثتُ داعياً ورحمةً. اللّهمَ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمونَ[1].

وأمّا الجودُ والكرمُ والسّخا فكانَ لا يُساويهِ أحدٌ في هذهِ الأخلاقِ الكريمةِ. قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ ﵁: ما سُئلَ ﷺ عن شيءٍ فقالَ لا. وعن أنسٍ أنَّ رجلاً سألَهُ ﷺ فأعطاهُ غنمًا ما بينَ جبلينِ، فرجعَ إلى قومِهِ وقالَ: أسلمُوا فإنَّ محمداً يُعطي عطاءَ مَن لا يخشى فاقةً.

وأمّا تواضعُهُ ﷺ على علوِّ منصبِهِ ورفعةِ رُتبتِهِ فكانَ أشدَّ الناسِ تواضعاً وحسبُكَ أنَّهُ خُيّرَ بينَ أنْ يكونَ نبيّاً ملِكاً أو نبيّاً عبداً فاختارَ أنْ يكونَ نبيّاً عبداً[2].

---

(١) المواهب اللدنية

(٢) الشفا للقاضي عياض

(والجذعُ حنَّ محبةً وحنانا) والجذعُ حنَّ للنبيِّ ﷺ محبةً وحناناً. فعن جابرٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقومُ يومَ الجمعةِ إلى جذعٍ. فقالتْ امرأةٌ مِن الأنصارِ أو رجلٌ مِن الأنصارِ ألا نجعلُ لكَ مِنبراً. قالَ: إنْ شِئتُم. فجعلوا لهُ مِنبراً. فلمّا كانتْ الجمعةُ رُفعَ إلى المنبرِ فصاحتْ النخلةُ فنزلَ رسولُ اللهِ ﷺ فضمّها إليهِ فجعلتْ تئِنُّ أنينَ الصّبي الذي يُسكّنُ. وفي روايةٍ: والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لو لم التزمْهُ لما زالَ هكذا حتى تقومَ الساعةُ حُزناً على رسولِ اللهِ ﷺ[1].

وَالمَـاءُ مِـنْ بَـيْنِ الأَصَـابعِ نَابِعـاً وَالجَـيْشُ أَضْـحَى شَـارِباً رَيَّانَا

ومِن معجزاتِهِ العظيمةِ التي لا حصرَ لها نبعُ الماءِ مِن بينِ أصابعِهِ الشريفةِ ﷺ وهو أشرفُ المياهِ وأفضلُها. وقد تكرّرَ ذلكَ في عدةِ مواطنَ. ومِن ذلكَ ما ذَكرَهُ شيخي الناظمُ رضي الله عنه بقولِهِ: **(والجيشُ أضحى شارباً ريانا)** أي شربوا كلُّهم وارتَووا. عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ قَالَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه البخاري

يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً [1].

وَاللهِ قَدْ عَظُمَتْ مَعَاجِزُ أَحْمَدٍ رَفَعَ المُهَيْمِنُ لِلنَّبِيِّ مَكَانَا

(واللهِ قد عظُمتْ معاجزُ أحمدٍ) واللهِ ـ قسمٌ ـ قد عظمتْ واشتهرَتْ معجزاتُ المصطفى أحمدَ ﷺ ، والمعجزةُ تكونُ للأنبياءِ. وهي الأمرُ الخارقُ للعادةِ المقرونُ بالتحدّي. وعجزُ البشرِ عن الإتيانِ بمثلِها وهيَ حجةُ الأنبياءِ على العبادِ.

والكرامةُ تكونُ للأولياءِ وهي الأمرُ الخارقُ للعادةِ يُجريها اللهُ على أيديْ بعضِ أوليائهِ أهلِ الإستقامةِ والمحبّةِ والإتّباعِ للحبيب ﷺ في الرحمةِ وحسنِ الخُلُقِ وحسنِ الظنّ بالمسلمينَ وسائرِ أحكامِ الشريعةِ. وقد ذكرَ اللهُ لنا في القرآنِ كراماتٍ لأوليائهِ منها كرامةُ الذي نقل عرشِ بلقيسَ من اليمنِ إلى الشامِ ومنها نومُ أهلِ الكهفِ أكثرَ مِن ثلاثمائةِ سنةٍ ومنها ولادةُ النبيّ عيسى على نبيّناوعليهِ الصلاةُ والسلامُ من غير أبٍ وإطعامُ أُمّهِ مِن ثمارِ الجنّةِ وقد ثبتتْ

---

(١) رواه البخاري

بالتواترِ كراماتٌ للصحابةِ ﵃ والتابعينَ ومَن بعدَهم مِن الصالحينَ نفعنا اللهُ بهم.

و(**رفعَ المُهيمنُ للنّبيّ مكانًا**) رفعَ المهيمنُ سبحانَهُ وتعالى مكانَ نبيّهِ ﷺ فلايُذكرُ سُبحانَهُ إلا وذُكرمعهُ ﷺ. إذْ لا يصحُّ إسلامُ الكافرِ ولاصلاةُ المصلّيْ إلا بشهادةِ الّاإله إلّا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ولا يُرفعُ أذانٌ إلّا بهما. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾. ﷺ .

وَلَقَدْ غَزَا سَبْعاً وَعِشْرِينَ مَعَ الصَّحْبِ رِجَالاً قَدْ مَشَوْا رُكَبَانَا

ولقد غزا ﷺ سبعاً وعشرينَ غزوةً معَ الصحبِ الكرامِ الذينَ جاهدوا بأنفسِهِم وأموالِهِم رجالاً وركباناً في سبيلِ اللهِ. منصورينَ برسولِ اللهِ ﷺ. قالَ الإمامُ البوصيريُّ ﵁:

ومَن تكنْ برسولِ اللهِ نُصرتُهُ إنْ تلقَهُ الأُسدُ في آجامِها تَجِمِ

ومِن أشهرِ غزواتِهِ ﷺ غزوةُ بدرٍ الكبرى وغزوةُ أُحدٍ وغزوةُ الخندقِ وغزوةُ بني قريضةَ يهودِ المدينةِ وغزوةُ خيبرَ وفتحُ مكةَ وغزوةُ حنينٍ وغزوةُ تبوكَ .. وعددُ سراياهُ التي بعثَها ﷺ خمسٌ وثلاثونَ وفي روايةٍ أربعٌ وثلاثونَ.والغزوةُ هي التي خرج ﷺ فيها بنفسِهِ. والسريّةُ هي التي لم يخرجْ فيها إلا سريّةُ مؤتةَ سمّيتْ غزوةً لتعدّدِ الأُمراءِ فيها. واللهُ أعلمُ.

أَكْـرِمْ بِـهِ وَبِصَحْبِهِ وَبِتَابِعٍ   يَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِهِم إِحْسَانَا

أي ما أكرمَهُ مِن نبيٍّ وما أكرمَ أصحابَهُ الذينَ زكّاهُم وربّاهُم وعلّمَهم وما أكرمَ التّابعينَ لهم السائرينَ على منهاجِهم.قال الإمامُ ابنُ منظورٍ رحمهُ اللهُ : الكريمُ مِن صفاتِ اللهِ وأسمائِهِ وهو الكثيرُ الخيرِ الجوادُ المعطيْ الذي لا ينفذُ عطاؤُهُ وهو-سبحانَهُ- الكريمُ المطلقُ.والكريمُ-أي مِن الخلقِ- الجامعُ لأنواعِ الخيرِ والشرفِ والفضائلِ أ هـ.

(**فَيَا رَبِّ أَلْحِقْنَا بِهِم إِحْسَانَا**) مِنك رحمةً بنا. فإنَّكَ قلتَ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴿٣﴾﴾ فاجعلْنا مِنهم وفيهم ومعَهم في الدّنيا والبرزخِ ويومَ القيامةِ وفي الجنّةِ ووالدِينا وأحبابِنا بجاهِ مولى بلالِ والحمدُ للهِ على كُلِّ حالٍ وفي كُلِّ حالٍ. وأسألُ اللهَ الكريمَ أنْ ينفعَ بهذا الشرحِ ونظمِهِ المباركِ جميعَ الأحبابِ وسائرِ المنؤمنينَ إلى يومِ الدينِ.

وقد وافقَ الفراغُ مِن تأليفِهِ غُرةَ شهرِ ذى الحجّةِ
سنةَ إحدى وأربعينَ وأربعمائةٍ وألفٍ
بعدَ هجرةِ النبيِّ الأعظمِ ﷺ.





ونعـــــــــل خضـــــــعنا هيبـــــــة لبهائـــــــه
وإنا مـــــــتى نخضـــــــع لهاأبـــــــدا نعلُـــــــو
فضـــــعها علـــــى أعلـــــى المفـــــارق إنهـــــا
حقيقتهـــــــــا تاج وصــــــــــورتها نعـــــــــلُ
بأخمـــــص خـــــير الخلـــــق حـــــازت مزيـــــة
علـــــى التـــــاج حـــــتى باهـــــت المفـــــرق الرجـــــلُ
فمـــــا شـــــاقنا مـــــذاراقنا رســـــم عزهـــــا
حمـــــــيم ولأمـــــــال كـــــــريم ولا نســـــــلُ
شـــــفاء لـــــذي ســـــقم رجـــــاء لبـــــائس
أمـــــان لـــــذي خـــــوف كـــــذا يحســـــب الفضـــــلُ